العنوسة

رؤية إسلامية اجتماعية لحل مشكلة الفتاة العانس

منصور الرفاعي عبيد

وكيل وزارة الأوقاف السابق

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

ت: ٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٧٥٢٧٣٥

٢٥٤,١ منصور الرفاعى عبيد .
م ن ع ن العنوسة : رؤية إسلامية اجتماعية لحل مشكلة الفتاة العانس / منصور الرفاعى عبيد . ـ القاهرة: دارالفكر العربى، ٢٠٠٠م.
١٠٤ ص ؛ ٢٤سم.
تدمك: ١ -١٣٠٤-١٠-٩٧٧.
١ - الزواج (الشريعة الإسلامية).. أ- العنوان.

تصميم وإخراج فنى
خالد محمد عبد العزيز

أميرة للطباعة
٥ شارع محمود الخضرى - عابدين
ت : ٣٩١٥٨١٧ محمول : ٠١٠١٤٥٦٠٣٧

إهداء

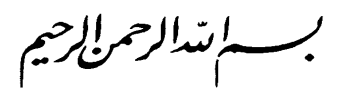
إلى كل إنسان يحب الخير لنفسه، ولمجتمعه. إلى كل مؤمن بالله وبرسوله، والكتاب الذى أُنْزِل على سيدنا محمد ﷺ لينذر به الناس أجمعين. .

هذا الكتاب الكريم الذى فيه علاج كل مشكلة وحل أى قضية لأن فيه نبأ من قبلنا، وخبر ما بعدنا.

لذلك أهدى هذا العمل لكل من يحاول علاج مشكلة العنوسة. ويسهم بالرأى واتخاذ القرار؛ لنستطيع بناء مجتمع يقوم على التعاون والعطاء.

والله ولى التوفيق..

المؤلف



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، خلقنا من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها لتدوم بين الناس المودة والرحمة، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد المثل الكامل فى الأخلاق العالية والخلق النبيل والمروءة والشجاعة، وقد تحلى بالأدب العالى، ويكفيه فخرا ما قاله فيه رب السماء: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [**القلم**].

لذلك أمرنا الله أن نقتدى به ونتخذه رائدا ونتبع خطاه لنصل إلى شاطئ الأمان وبر النجاة.

وبعد : فإن الشريعة الإسلامية بينت لنا فى الدستور الإلهى والمنهج الربانى (**القرآن الكريم**) أن الله سبحانه وتعالى خلق الذكر والأنثى فى كل المخلوقات ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [**الذاريات**].

وهذا الخلق ليجعل كلا منهما مكملا للآخر ملبيا لحاجته الفطرية : الجسدية والنفسية ، ويجد كلٌّ منهما مع الآخر الراحة والطمأنينة والاستقرار، وينشأ ذلك من اجتماع الذكر والأنثى خاصة من بنى آدم ، بعد الزواج الذى شرعه الله وبينت أسلوبه فى التطبيق العملى : السنة النبوية المطهرة ؛ فيتحقق السكن والمودة والرحمة، والمصاهرة. . . والذى يقرأ القرآن الكريم يجد فى ثناياه أنه بين الوسائل التى تضمن للزوجين السعادة الكاملة وتكفل لهم طيب الحياة . لهذا نبه إلى حسن اختيار كل من الزوج والزوجة، وجعل أساس الاختيار: القيم الدينية، والتكافؤ النفسى، والصحة العامة والسلامة من العاهات .

هذا هو الأصل فى الحياة التى رسمها الدين وأمر بها ونبّه عليها ؛ لكن. . . هناك شىء خارج عن رغبة الإنسان. . . فنرى البنت مثلا لا يتقدم إليها أحد لخطبتها لأسباب اجتماعية. . . ونرى بعض الشباب لا يُقْدم على الزواج لأسباب اجتماعية،

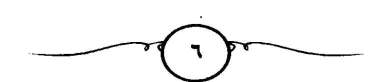


وهو ما سمى فى العـرف (بالعانس) ، (الأعزب)، وهذا أمر طارئ ومشكلة مـستحدثة على الساحة ، وإن كـانت قديمة إلا أنها بدأت تشكـل خطرا اجتماعيا إذا مـا استفحل هذا الأمر؛ لذلك رأيـنا أن نقوم بهذه الدراسـة بحيث نشخص الداء ثـم نصف العلاج ونضع ذلك بيـن يدى عقلاء الأمة ومـفكريها لنتكاتـف سويا على تقليـل هذا المرض وتحجيمه.

ونستعين الله فى ذلك سـائلين إياه الهداية والتوفيق والرشاد. إنه سـميع مجيب الدعاء .

سراى القبة فى رمضان ١٤٢٠هـ
يناير ٢٠٠٠م

منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف للمساجد
وشئون القرآن



العنوسة

فى كتب مفردات اللغة نجد أن العلمـاء أشاروا إلى هذه الكلمة ووضعوا لها من التعاريف مـا يوضح أمرها أمام أعيننا . . ذلـك لأن العرف السائد فى المجـتمع يعرِّف العانس من الرجال أو النساء بأنه الذى لم يتـزوج ولم يعقد عقدة النكاح، ويقولون عن الفتى أو الفتاة . . بأنهما فاتهما قطار الحياة وأنهما لم يدخلا دنيا ؛لأن الدنيا فى عرف الناس هى عش الزوجية الذى يـؤسس بين فتى وفتاة ليكون منهما ذرية تمـلأ حياتهما بهجة وتحقق لهمـا السعادة ،فإن الأبناء زينة الحياة الدنيا وبهجتـها حيث يشعر الزوج والزوجة بأن حياتهما مـمتدة، وإن غربت شمسهما فإن اسمهمـا يتردد فى المجتمع من خلال الأبناء والأحفاد ؛لأن الحفيد هو الأقرب إلى قلـب الجد يجد فيه شمسه الغاربة تشرق بين يديه من جديد . .

وتعالوا بنا نعود إلى مفردات اللغة حـيث جاء فى كتاب «لسان العرب» «العانس من الرجال والـنساء الذى يبقى زمـانا بعد أن يدرك لا يتزوج، وأكـثر ما يستـعمل فى النســاء . . يقال . . عـنست المـرأة فهى عـانس . . وعنست فـهى معـنَّسة إذا كـبرت وعجزت فى بيت أبويـها . .فإن تزوجت مرة فلا يقال عنسـت . . » لسان العرب جزء ٦ ص ١٤٩ طبعة بيروت دار صادر . وجاء فى كتاب «المعجم الوجيز» طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم: عَنَستْ البنت عَنْسا وعُـنُوسا بقيت طويلا بعد بلوغها دون زواج فهى عانس وجمعها عوانس . . ص ٤٣٧ أما المعجـم الوسيط فقد جاء فيه . . عَنَستْ البنت البكر عَنْسا وعُنُوسا وعنَاسا . . طال مكثها فى بيت أهليها بعد إدراكها فهى عانس . . ، وعُنْس . . ، وعُنَّس . . ، وعَوَانِس، وعَنَسَ الرجل أَسَنَّ ولم يتزوج فهو أيضا عانس . . وأكثر ما يستعمل فى النساء . . جـ٢ ص ٦٥٤ .

كما جاء فى مختار الصحاح ما نصه:

عَنَسَ - عَنَسَتْ الجـارية من باب دخل وَعِنَاسا أيضا بالكسـر فهى عَانِسٌ . . إذا طال مكثها فى مـنزل أهلها بعد إدراكها حتى خـرجت من عداد الأبكار . . هذا إذا لم



تتزوج فإن تزوجت مرة فلا يقال عَنَسَتْ . . ويقال للرجل أيضا عانس والجمع عُنُس وعُنَّس . . قال أبو زيد وعنست الجارية أيضا تعنيسا .

وقال الأصمعى : لا يقال عنَّست ولكن عُنِّسَت على ما لم يسمَّ فاعله . . وَعَنَّسها أهلها : ص ٤٢٨ ط ١٩٠٥ م .

وبالنظر إلى أصل كلمة عانس حسبما جاءت فى كتب اللغة يتبين أنها وضعت للمرأة التى لم تتزوج وللرجل أيضا الذى لم يتروج ، لكن الغالب فى كلمة «عانس» للنساء .

وأما كلمة عازب فهى كما جاء فى كتاب «مختار الصحاح» : العُزَّابُ . بالضم والتشديد ،الذين لا أزواج لهم من الرجال والنساء، قال الكسائى : الرجل (عَزَبَ) والمرأة (عَزَبَةٌ) والاسم العُزُبُ كالعُزلة والعُزوَبَةُ أيضا : ويقال عَزَبَ بَعُدَ وغَابَ. وبابه دخل وجلس وفق الحديث «من قرأ القرآن فى أربعين ليلة فقد عَزَّبَ» بالتشديد أى بعد عهده بما ابتدأه منه . ويتبين من هذا التعريف أن الرجل الذى لم يتزوج هو العَزَب، والمرأة كذلك كما جاء فى كلمة عانس؛ لأن هذه الكلمات ترشد إلى عدم الزواج، ولكنها تطلق على الرجال فى الغالب .

لماذا شرع الله الزواج ؟

الكون كله قائم على الزوجية يقول الله تعالى : ﴿ **وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴿٤٩﴾ ﴾ [**الذاريات** : ٤٩] .

وأنت إذا تأملت فى هذا الكون تجده قائما على الدقة والانضباط، والزوجية فيه قائمة للحفاظ على السلالة إما بشرية أو حيوانية أو نباتية، حتى الطير والدواب والهوام والأفاعى ،حتى الهواء والسحاب والمدر والشجر قائمة على الزوجية، وهو ما يسميه بعض العلماء بالسالب والموجب فى بعض الأشياء ، ومن حكمة الله تعالى أنه جعل الرياح تنقل آلة الذكورة من الأشجار والنباتات إلى الأنثى من هذه الأشياء، قال تعالى: ﴿ **وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ** ﴿٢٢﴾ ﴾ [**الحجر**] .

وتعالوا بنا نتابع السير مع الجنس البشرى . . .



لماذا شرع الإسلام الزواج بالأسلوب الذى نراه؟

للأسباب الآتية:

١ - للمحافظة على النوع الإنسانى:

لأن الله سبحانه وتعالى هو القائل: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴿١﴾ ﴾ [النساء]. ويقول سبحانه: ﴿ **وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً** ﴿٧٢﴾ ﴾ [النحل].

والذى يتأمل فى هذه الآيات يرى أن الزواج طريق إلى تكاثر النسل الإنسانى وعامل أساسى فى استمراره وبقائه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .. وهذه حكمة عالية لا تخفى على الإنسان العاقل. والله سبحانه عندما شرع الزواج ونبه إليه؛ ذلك لأنه المحضنة التى تحتضن الأطفال وتعمل على تربيتهم وتحملهم المسئولية ليقوموا بأداء الواجب الاجتماعى عليهم.

٢ - سلامة المجتمع من الانحلال:

لا شك أن الزواج فيه عصمة للرجل والمرأة لأن كلا منهما لديه طاقة يريد أن يصرفها، وحتى لا يحدث كبت واضطراب نفسى فيحدث الزواج فيكون لهذه الطاقة تصريف مشروع فى حدود الأدب والاحترام والسكن النفسى والمودة. وإلى هذا أشار الحق سبحانه ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

إنه بالزواج يسلم المجتمع ويقوى، وبغير الزواج تكون هناك العلاقة غير المشروعة، ويتأتى من وراء ذلك الانحلال الخلقى والفساد الاجتماعى والأولاد غير الشرعيين، وهنا يصاب المجتمع بالخلل والاضطراب. وقد أشار الرسول ﷺ إلى أن الزواج فيه العصمة وضبط النفس، فقال فى الحديث الذى رواه الجماعة: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج»** الباءة: هى القدرة على الزواج الذى به يصان المجتمع من التحلل والانهيار. وتتكون الأُسَر ويتقدم الإنتاج.

٣ - المحافظة على الأنساب :

لاشك أن الإنسان الذى يعرف أصله ، وفصله ، ونسبه، وعائلته يشعر بالكرامة الإنسانية والسعادة النفسية؛ لأن هذا النسب يعطيهم القيمة الذاتية فى أنهم ينسبون إلى الآباء والأمهات. وقد قال الشاعر:

أولئك آبائى فجئنى بمثلهم ....

أما الإنسان الذى لا يعرف له أب فنجده يعيش وهو مجروح فى كرامته مطعون فى نسبه، تجد هذا الإنسان ينشر الانحلال، ويعيث فى الأرض الفساد، ويدمر كل ما يستطيع من قيم أخلاقية أو مؤسسات اجتماعية إلى غير ذلك . . والسبب أن هؤلاء الناس جاءوا بلا آباء، فأدى ذلك إلى الانحلال الأخلاقى وضياع الحياء عند الشباب والعفاف عند النساء . ولقد قال الرئيس الراحل كنيدى من حديث تناقلته الصحف فى عام ١٩٦٢ : «إن الشباب الأمريكى مائع مترف منحل غارق فى الشهوات وأن من بين كل سبعة شبان يتقدمون للتجنيد يوجد منهم ستة غير صالحين».

وفى كتاب لمدير مركز البحوث بجامعة هارفارد بعنوان : «الثورة الجنسية» يقرر المؤلف أن أمريكا سائرة إلى كارثة فى الفوضوية الجنسية وأنها تتجه إلى نفس الاتجاه الذى أدى إلى سقوط الحضارتين الإغريقية والرومانية فى الزمن القديم.

وهناك إحصائية صدرت فى نيويورك عام ١٩٨٣ . تقول : « إن أكثر من ثلث مواليد هذا العام أطفال غير شرعيين : أى أنهم ولدوا خارج نطاق الزواج وأكثرهم ولدوا لفتيات فى التاسعة عشر من العمر وما دونها وعددهم ١١٢٣٥٣ طفلا أى ما يوازى ٣٧٪ من مجموع مواليد نيويورك» : جريدة الشرق الأوسط السنة السابعة العدد (٢٠٨٦) .

إنه بالزواج يتم المحافظة على الأنساب؛ لأن هذا شيء، مهم للغاية، ولا تعجب إذا ما عرفت أن الشذوذ الجنسى يؤدى إلى الفوضى والقضاء على معظم الفتيات التى تقضى الواحدة منهن شبابها وهى محرومة من زوج تسكن إليه، ولكن تعبث بها الأيدى المجرمة لتتخذها أداة للمتعة الحرام. ويقابل هؤلاء الفتيات كثرة من الشباب العزاب الذين حرموا أنفسهم من الحياة الزوجية، وعاشوا على مائدة الحرام، ولم

يجدوا الـناصح الأمين، ويـزداد عجب الإنسان عـندما يقـرأ تصريحا لـمدير مصـلحة الإحصاء الأمريـكية فى ١٠ سبتمـبر سنة ١٩٨٢ يقول فيه: « إنـه لأول مرة منذ بداية هذا القرن تصبح أغلبية سكان مدينة سان فـرانسيسكو من العزاب » ثم يقول فى مؤتمر صحفى نظمته الجـمعية الاجتماعية الأمريكية : « إنـه وفق الأرقام لآخر تعداد للسكان يتبين أن ٥٣٪ من سكان المدينة غير متزوجين». ثم يقول : «إن التعداد لم يشمل عدد المصابـين بالشذوذ الجنسى وهم يشـكلون ١٥ ٪» «وفى نفس التاريخ خـرجت النساء السويـديات فى مظاهرة عـامة تشمـل أنحاء الـسويد احتجـاجا على إطلاق الـحريات الجنسيـة فى السويد، وقد اشتـرك فى هذه المظاهرة أكثـر من ١٠٠٠٠٠ (مائة ألف) امرأة، وقد أعلن فى هذه المـظاهرة أنهن تقدمن بعريضة موقعـة منهن إلى الحكومة، وفيها الاحتجاج الصارخ على تدهور القيم الأخلاقية وكثرة الأطفال غير الشرعيين.

ونحـــن إذ نحمـد الله الــذى شرع الــزواج فـى الإسـلام صـيانة للـمجتـمع وحفاظا عليه من التدهـور الأخلاقى وهذا من فضل الله علينا ﴿ **وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**  ﴾ [يوسف].

٤ - بناء عش الزوجية السعيد:

إن الزواج قائم على المودة والحب والرحـمة والعطف والتعاون، وهذه الأسس التى شرعها الإسلام وحددها لبناء عش الزوجيـة السعيد ؛ لأنه بالزواج يتعاون الزوجان على تكـوين الأسرة وتربيـة الأولاد، وأن كل واحد منـهما يكـمل الآخر، وبهـذا يتم التعاون وتتكون الأسرة الفاضلة التى تنعـم فى بيت يسوده الحب والحنان وتستمر فى عطائهـا للمجـتمع إلى ما شـاء الله . . وبهذا تسـعد الإنسانيـة وتزدهر الحيـاة ويرقى المجتمع فى سلم المجد والتقدم والازدهار.

٥ - السكن الروحى :

إنه بالزواج تنـمو بين الزوجيـن روابط المودة والرحمـة ويسكن كل منهـما إلى الآخر، ويجـد كل واحد منهما سـعادته فى ظل الآخر، وهنـا يتهيأ للإنسـان السكون النفسى والراحـة الجسدية والأمن الاجتـماعى فيستقـبل كل واحد منهما حـياته بفرح وحيـوية ونشاط، ثـم فى هذا المنـاخ الصحى تتـأجج العـاطفة الفـياضة فـى نفس

الزوجين، وتشتد الأحاسيس النفسية والمشاعر النبيلة لإيجاد روابط قوية بين الزوجين من خلال الأبناء، وبوجود الأبناء تقوى العلاقة وتتأصل عاطفة المودة ؛ لذلك رغبت الشريعة الإسلامية في الزواج وحثت عليه لتحصن النفس الإنسانية من الانحراف والضياع في المجتمع.

٦ - سلامة المجتمع من الأمراض :

من المعلوم أن الشريعة الإسلامية نبهت المرأة كما نبهت الرجل أن الزواج فيه حماية للإنسان من الأمراض التى تهز نفسه وتصيبه بالاضطراب؛ لأنه بالزواج ينجو الإنسان من الأمراض الفتاكة الناتجة عن الشذوذ الجنسى مثل: التمزق النفسى ، الانهيار العصبى - الأمراض السرية كالزهرى والسيلان وما عرف أخيرا وتبين أنه من أشد الأمراض خطرا على الإنسانية، إنه «الإيدز» الذى يُفْقد المناعة من الجسم ويعرضه للتهلكة. إن هذا المرض اللعين يهدد الملايين فى أوربا وأمريكا . . أما نحن المسلمين فإن رسول الله ﷺ حذرنا من هذا الانحراف الجنسى والشذوذ فقال محذرا الناس فى الحديث الذى رواه ابن ماجه : **«ولم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا»**.

إن الأمراض العصبية والنفسية، التى كفانا الله شرها وأعاذنا منها، تنتشر دائما فى أى مجتمع يظهر فيه الانحلال الخلقى والشذوذ الجنسى، ولقد نبهنا القرآن إلى أن الزنا وهو انحراف خلقى من أخطر الأمراض ، فقال لنا محذرا منه وحتى لا نقع فيه فنصاب بهذا المرض: **﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]**.

ولذلك أوجب الله العقاب القاسى على الشخص الزانى فقال : **﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور]**.

إن الإسلام يتميز بأنه دين النظافة والطهارة والعفة والحصانة؛ لذلك نجد أن المسلمين يتمتعون بصحة فى أبدانهم وعافية فى أجسادهم وثقة بالله قوية وأمل ممتد فى غد مشرق بالخير والنعيم بسبب تمسكهم بالدين وقيمه، والطهارة، والنظافة، وما إلى ذلك مما شرعه الله لعباده المؤمنين .



الإسلام يرفض الرهبانية:

إن الإسلام الحنيف شرع الزواج وأمر بـه وحض عليه، والرسـول ﷺ يقول : **«من كان موسرا لأن ينكح ثم لم ينكح فليس منى»** رواه الطبرانى والبيهقى.

ثم إن الإسلام يرفض الرهبانية فلا رهبانية فى الإسلام ، لأنها تصادم الفطرة الإنسانية ؛لذلك روى البخارى أنه جـاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا بها كأنهم تقالُّوها (عَدُّوها قليلة) فقالوا : وأين نحن من النبى ﷺ فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر : قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا ، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فلما جـاء رسول الله ﷺ قال لهم: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا...؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ؛ لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»**.

وهذا الموقف من رسول الله ﷺ برهان قـوى على أن الإسلام دين الفطرة يقول لكل شخص: **«اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا»** وقد جاءذلك صـريحا فى قول الله سبـحانه: **﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾ [القصص].**

ويقـول سبحـانه : **﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢) ﴾ [الأعراف]**

لذلك نهى الإسـلام عن العزوبية لأنها خطر على الفـرد والمجتـمع، فهى إذا انتشرت فى أمة فلاشك أن شبابها وشاباتها يتجهون فى حياتهم الاجتماعية إلى المجون والخلاعة؛ لأن النفس الإنسانية إذا لم تكن لها من تقوى الله رادع ومن مـراقبته زاجر اتجهت إلى إشـباع الشهوة بأى وسيلة، وتاهـت فى حياة الفاحشة والـرذيلة، وعملت على إشباع رغبتـها الجنسية بالاتصال الحرام والعلاقـات المشبوهة ، ولا شك أن هذه الحياة سـوف تؤدى إلى أمراض خطيرة مثل الالتـهابات الجلدية والمفصـلية، ويصاب الإنسان بأمراض خطيرة ،من التقرحات الجنسـية التى تؤدى إلى خراجات قيحية مزمنة



والتهـابات فى المـجارى البوليـة والجهـاز التناسلى ، ناهـيك عن الانحلال الـخلقى والهوس الجـنسى؛ لأن الذى يمشى فـى طريق الزنا يعيـش فى حياته شـاردًا يحاول أن يهرب مـن حياته بالـسكر وشرب الخمـور وتعاطى الحـشيش ،وينشـأ من وراء ذلك عصـابات القـتل وخطف النـساء ، واغتـصاب الأطفـال . . وقد يؤدى ذلك إلـى بيع الفتـيات وتأجير البـغايا، وينشأ من وراء ذلك فـريق من الأطباء لعلاج الـشواذ وبعض المحـامين للدفاع عـن المنحرفيـن، وفى خضم ذلك تنتـشر الرشوة إمـا بالجنس أو بالمـال، ويأتى من وراء ذلك شهـادة الزور. . إلى غيـر ذلك من الأمور التى جـعلت خروتشوف – رئيس روسـيا- يصرح فى سنة ١٩٦٢ (بأن مستقـبل روسيا فى خطر وأن شبابها لا يؤتمن على مستقبلها لأنه مائع منحل غارق فى الشهوات).

وكان من وراء ذلك أن ظهرت كتب الجنس، ومجلات العرى، وقاعات الرقص وأفواج الإباحييـن المتشبهين بالحـيوانات المستهترين بـكل فضيلة والمستجـيبين لكل رذيلة.

لذلك بات مقررًا ومـسلَّما من المفكرين ورجال الإصلاح وعلـماء الاجتماع أن المجتـمع فى حاجة إلى شباب قوى يـتمسك بالفضيلة ويـتحصن بالعفة ليـبنى أمته، وينهض بالـمسئولية ويـرقى بالمجتمـع ، ولا يتم ذلك إلا بالزواج القائم عـلى المودة والرحمة.

إن الرهبنة والـعزوبة من الأمور الخـطيرة فى المجـتمع التى تهـدد بزوال الأسر ويكون من وراء ذلك شقاء الرجل والمرأة على السواء. ويؤدى ذلك الخطر إلى:

١ - انهيار اقتصاد الدولة

لأن العَزَب، والذى يـسلك مسلك الرهـبنة يصرف همـه فى التفكيـر فى الأنثى كيف الوصول إليها؟ وهى بالتالى كذلك تفكر فى الرجل وكيفية الوصول إليه، ولاشك أن الذين يفكـرون فى هذه الأشياء لا يقـوون على الإنتاج لضـعف قواهم وانشـغالهم وانسيـاق فكرهم وراء أشياء جنسـية تؤرقهم ،فـيؤدى ذلك إلى ضعف القـوى الفكرية لديهـم، ويكون ذلك سـببا فـى الانهيار الاقـتصـادى؛ لأنهم لا يبـالون بالصنـاعة ولا يحرصون على زراعـة الأرض ولا يعملون فى التجارة، وهذا الوضع الاجـتماعى هو

الذى أدى إلى أن كنيـدى وخرتشوف فى عام واحـد يصرحان بأن دولة كل منـهما فى خطر، وهـذا أقوى دليل نـؤيد به كلامنـا . لذلك رفض الإســلام العزوبة ونـهى عن الرهبنة لأنها خطر دينى واجتماعى . ومن المعلوم أن **«الزانى لا يزنى حـين يزنى وهو مؤمن »**. كما روى البخارى، والزنى يقطع الرزق ويسخـط الرحمن، ويجلب الفقر .

٢ - قطع صلة الرحم

إن الإنسان العزب أو الشخص الذى يسلك مسلك الـرهبنة نجده منبوذا محتقرا لدى أقاربه؛ لأنهم يخافون من دخوله إلى بيوتهم، وهنا يكون قطع صلة الرحم وإيجاد جو من العداوة والبغـضاء؛ لذلك نهيب بالشباب ونقـول له تزوج لأنك إن فعلت ذلك وتريد أن تحصن نـفسك وتطهر قلبك وتؤســس بيتا لتنجب أولادا فإن الله مـعك يسدد خطاك ويفتح لك أبواب الخير، مصداق ذلك قوله سبحانه : ﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [**النور**] .

فالحق سبحانـه وتعالى أخبر أنه بالزواج القائم على الأصول والقـواعد المرعية يبارك الله فيه، ويغنى الله الزوج والزوجة من فضله حسبما يقول الرسول ﷺ: **«تنكح المرأة لأربع لمالا وجمـالها ونسبها ودينها فاظـفر بذات الدين تربت يداك»** (أى إنـك تغتنى وتمتلك الخـير إذا أنت تزوجت المتدينة الصالحة العـفيفة) ،وإذا لم يتم الإقدام على الزواج مع القـدرة على تكاليفه فإن الإنســان يعيش فى تعاسة وفقـر وشتات ذهن وتمزق نفس وقـلة إنتاج،علاوة على أنه يبـعد الإنسان عن أهله ، ذوى رحـمه. والحق سبحانـه وتعالى أمرنا بصلة الرحم حـسبما جاء فى الحـديث القدسى: **«أنــا الله وأنــا الرحمن خلـقت الرحم وشققت لهـا اسما من اسمى فـمن وصلها وصلته ومن قـطعها قطعـته»** ولا يقبل العاقل لنفسه هذا الوضع أبدا ؛لذلك كان الزواج هو العلاج والعامل على الاتزان والثقة عند الأهل، ويعيش الإنسان فى جو كله خير وهدوء واستقرار.

التربية الجنسية

يهتم الإسلام اهتماما كبيرا بالعلاقة القائمة بين الرجل وزوجته ويعتبر الزواج من الأمور التى يجـب أن تصان فلا يتحـدث الإنسان عن الشىء الذى يجـرى بينه وبين زوجته ، وكذلك نهى المرأة أن تتكلم بهذا ؛ لأن ذلك يعنى إفشاء السر والخيانة. وقد

قال لله تعـالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [**الأنفال** : ٢٧]

والإسلام عندمـا حرم إفشاء الأسرار أراد أن يصـون الفراش بالحصانـة والعفة، ولذلك قال الرسول ﷺ فيما رواه مسلم : «**شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى المرأة وتفضـى إليه ثم ينشر سرها**» وروى الإمام أحمد وأبو داود أن رسول الله ﷺ صلى بالـناس فلما انتـهى من صلاته يـقول أبو هريرة : أقـبل علينا فـقال : «**بمجالسكم ..هل منكم الرجل إذا أتى أهله أغلـق بابه وأرخى ستره ثم يخرج فيحدث فيقول فعلت بأهلى كذا وفعلت بأهلى كذا؟**» فسكتوا ، فأقبل على النساء: «**فقال هل منـكن من تحـدِّث ؟** » فجثت فتاة كعابٌ (شابة) على إحـدى ركبتيها وتطاولت ليراها رسول الله ﷺ ويسمع كلامـها فقالت: «أى والله إنهم يتحدثون وإنهن يـتحدثن. فقال عليه الصـلاة والسلام: «**هل تدرون ما مـثل من فعل ذلك؟ إن مثل من فـعل ذلك مثل شيطان وشـيطانه لقى أحدهما صـاحبه بالسكة (بالطريـق) فقضى حاجته مـنها والناس ينـظرون**» إنه يحرم على الزوجين التحدث عما جرى بـينهما من عملية اللقاء حتى ولو بالإشارة . والـرسول ﷺ له أحاديث ترشـد الرجل والمرأة ألا يتـعريا عند اللـقاء بل عليهما أن يسترا أنفسهما عـند اللقاء ؛لما روى الترمذى وأبو داود عن النبى ﷺ قوله: «**إن الله تعالى حيىٌّ ستيـر يحب الحياء والستر**» وقوله أيضا فيما رواه الترمذى: «**إياكـم والتعرى فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط (قضاء الحاجة) وحين يفضى الرجل إلى أهله (أى الجماع) فاستحيوهم وأكرموهم**».

وبنفـس الرواية أيضـا : «**إذا جامع أحـدكم أهله فلا يتـجردان تجرد العـيرين**» (الحمارين) كل ذلك للحفاظ على القيم الدينية التى أمر الإسلام بها . ثم إن الإسلام فى سبيل غرس الـقيم الدينية فى الأطفال وتربيتـهم تربية جنسية صحيـحة نبه على أن الأبناء لا يدخـلون إلى غرف نوم الآبـاء إلا بعد الاستـئذان؛ لأن الأب عليـه أن يقوم بتوجيـه الابن أو الابنة أن الدخول إلى غرف النوم والآباء بهـا لا يليق أبدا إلا إذا طرق الابن على الـباب ثلاثا وسمـع الإذن له بالدخول، وهذا الاسـتئذان يكـون فى حالات ثلاث:



١ - من قبل صلاة الفجر لأن الأبوين نيام فى فراشيهما، وقد يتعرى أحدهما فلا يليق بالابن أن يرى أحد أبويه فى هذه الصورة.

٢ - وقت الظهيرة لأن الأبوين قد يقيلان فيخلعان ثيابهما فى تلك الحالة، ولا يليق بالأبناء أن يروا ذلك.

٣ - من بعد صلاة العشاء لنفس السبب، ولا يخفى ما فى الاستئذان فى هذه الأوقات الثلاث من تعليم الولد أو البنت أصول الأدب مع الأبوين وحتى لا يفاجأ الولد إذا دخل على أبويه فيرى منهما شيئا لا يحسن أن يراه.

يقول الله سبحانه وتعالى فى بيان ذلك: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾** ﴾ [النور].

إن بعض الأولاد الذين ينحرفون جنسيا لأنهم دخلوا إلى غرف النوم فجأة ورأوا الآباء فى اتصال جنسى فارتسمت الصورة فى ذهنه، فيعاوده المنظر دائما فى خياله ويتخيل المشهد فى خاطره، فيحاول إجراء التجربة التى رآها وهنا تكون الطامَّة الكبرى؛ لأن بعض الأبناء يحاول إجراء المشهد الذى رآه مع أخته أو الأخت مع أخيها، وهنا المصيبة العظمى التى جاءت نتيجة الاستهتار بعدم غرس قيمة الاستئذان فى الأبناء.

وهناك أمر أخطر يجب أن تنبه إليه الأم أو الأخت أو زوجة الأخ أو غيرهن من المحارم التى تلبس الملابس الشفافة أو الضيقة وتحدد أماكن العفة عندها وتجلس أمام الشباب حتى ولو كانوا أبناءها ؛لأن فى ذلك تهييج للمشاعر وتحريك للدافع الجنسى الذى ينضج فى الأولاد مبكرًا بسبب هذه الصور التى تتكرر فى البيوت دون رعاية لمشاعر الأطفال والشباب.

إن النظرة إلى أماكن العفة من المرأة تثير الشباب، والضحكة البريئة من المرأة أو الفتاة تحرك الغرائز والدعابة البريئة والكلام الذى فيه لين وخضوع كل ذلك أشياء تؤدى إلى مفاسد خطيرة، وفى هذا المناخ يكون هناك إطلاق للرغبات الجنسية وعمليات



استثارة تنتهى بالإنسان إلى سعار شهوانى لا ينطفئ ولا يرتوى، ويعيش الشباب وهم يتطلعون بنظرة خائنة إلى الحركة المثيرة والجسم العارى ،ثم يكون من وراء ذلك أمور لا تحمد عقباها ؛ لذلك روى الإمام أحمد عن عُبادة بن الصامت رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «**اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة: اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم، وأدوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضوا أبصاركم، وكفوا أيديكم**».

إن الإسلام يهدف إلى تربية الأولاد تربية جنسية سليمة تقوم على أسس وقواعد أساسها التعليم والإرشاد وغرس القيم الأخلاقية فى نفوس الأولاد ، والمنزل هو المدرسة التى يتلقى فيها الأولاد هذه المبادئ عمليا، فيرى الأم التى تستر جسدها، ويرى الأخت المحتشمة ،ويرى العمة المهذبة ويرى الخالة المؤدبة، لأننا نعرف أن الصبى المراهق أحاسيسه متفتحة لا يفرق بين الشوهاء والحسناء إذا استثيرت غرائزه، ومن هنا قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل : «**النظرة سهم من سهام إبليس من تركها مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه**» رواه الطبرانى والحاكم.

وقد قال الله تعالى فى القرآن: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿٣١﴾** ﴾ [النور].

إن المنهج الذى اختاره الإسلام وارتضاه للجنس البشرى هو أسلم طريق يجد فيه الشباب هدوء النفس واستقرار الفكر وضبط حركة الغرائز، فيؤدى ذلك إلى راحته النفسية، ويحفظه من الانحراف؛ ولذلك قال الشاعر :

كل الحوادث مبدؤها من النظر	**ومعظم النار من مستصغر الشرر**
كم نظرة فعلت فى قلب صاحبها	**فعل الرياح بلا قوس ولا وتر**
والمرء ما دام ذا عين يقلبها	**فى أعين الغيد موقوف على خطر**
يسر مقلته ما ضر مهجته	**لا مرحبا بسرور عاد بالضرر**

إن على الآباء أن يعلموا أبناءهم أصول التربية الجنسية، ويحفّظوهم سورة يوسف وسورة النور وسورة الأحزاب، ففيها أصول التربية الجنسية القائمة على الضبط وعدم التفلت والمراقبة لله عز وجل.



والإنسان الذى يفعل ذلك يحبه الله ويكلؤه برعايته. وصدق رسول الله ﷺ فيما رواه الطبرانى : **«ثلاثة لا ترى أعينهم النار : عين حرست فى سبيل الله، وعين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله»**.

ثم إن الإسلام نهى عن أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل سواء أكان المنظور إليه قريبا أم بعيدا ، ففى الحديث الذى رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال : **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة»**.

كما روى الحاكم أن النبى ﷺ رأى رجلا مكشوف الفخذ فقال موجها ومرشدا: **«غط الفخذ فإن الفخذ عورة»**.

كما أنه لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى امرأة أخرى ، وخاصة ما بين السرة إلى الركبة للأحاديث التى قدمناها. والحكمة فى هذا التحريم لتكون المرأة مصونة من هياج الغريزة وتوقدها حين ترى منظرا مثيرا أو مشهدا فيه فتنة، ويؤدى ذلك بالرجل مع الرجل إلى (اللواط) وهو جريمة خلقية لا يليق أبدا أن ينتشر فى المجتمع المسلم؛ لأنه من أكبر الجرائم الخلقية ، وفعله فى مكان كله خبث ونجاسة يؤدى إلى انتشار الأمراض الفتاكة ، كالإيدز والسيلان علاوة على الرائحة الكريهة القذرة .

كما أن ذلك يؤدى بالمرأة مع المرأة إلى ما يعرف (بالسحاق) وهو من الأمور الخطيرة كاللواط عند الرجال .وقد صح فى بعض الأحاديث أنه من علامات الساعة (اكتفاء الرجال بالرجال (أى للواط) واكتفاء النساء بالنساء (أى السحاق) .

لذلك لا يجوز للرجل المسلم أن يسمح لزوجته بالذهاب إلى الشواطئ فى أشهر الصيف ولبس المايوه ، كما لا يجوز للرجل المسلم أن يأذن لزوجته أو لبناته فى دخول الحمامات العامة؛ لأن المرأة هناك تكشف عن جسدها وتتعرى . فقد روى النسائى والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : **«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته - زوجته - الحمام»** وروى الطبرانى أن نساء من الشام دخلن على عائشة رضى الله عنها فقالت لهن أنتن اللاتى تدخلن بناتكن الحمامات؟

سمعت رسول الله ﷺ يقول : **«ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر الذى بينها وبين ربها»**.

والحكمة فى عدم كشف عورة المرأة أمام أى امرأة أجنبية، أنه ربما تقوم هذه



المرأة بوصف جسم هذه المرأة أمام زوجها أو أمام الرجال فيتحدث الرجال بذلك، وهنا تقع الطامة الكبرى حيث يذكر الرجال لبعضهم جسم هذه المرأة وما فيه!

جاء فى كتاب التفسير لأبى الأعلى المودودى : «ولا ينبغى للمرأة الصالحة أن تنظر إليها المرأة الفاجرة ؛ لأنها تصفها عند الرجال، وفى ذلك خطر عظيم على المرأة الصالحة».

ثم إن الحكمة من عدم النظر إلى عورة الرجل حتى لا يتلذذ بها الرجل فيؤدى ذلك إلى الشهوة والفتنة . قال الحسن بن ذكوان: «لا تجالسوا أولاد الأغنياء فإن لهم صورا كصور العذارى وهم أشد فتنة من النساء» وهذا من باب سد الذرائع وحسما للفساد.

إن التربية الجنسية فى الإسلام يجب أن نهتم بها اهتماما عظيما؛ لأن بالتربية الأخلاقية العالية يكون الخلق ، وبحيث نجنب الأطفال والمراهقين ما يثيرهم جنسيا ويفسدهم خلقيا ؛ذلك أن مرحلة المراهقة من أخطر المراحل فى حياة الإنسان، وعلى الآباء أن يقودوا الأبناء فى هذا المرحلة بالرفق واللين والمتابعة، وأن يجنبوهم الإثارة الجنسية وهياج الغريزة . ولهذا نرى أن رسول الله ﷺ قال فيما رواه أبو داود: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع**» وهذا دليل قاطع على أن الإسلام يأمر أولياء الأمور أن يتخذوا التدابير الإيجابية والأسباب الوقائية فنجنب الولد الهياج الغريزى والإثارة الجنسية؛ لأن الأبناء إذا اختلطوا فى فراش واحد وهم فى سن المراهقة أو ما يقاربها رأوا من عورات بعضهم فى حال النوم أو اليقظة ما يثيرهم جنسيا. ويؤخذ من كلام النبى ﷺ أنه يهتم فى توجيه الولد المراهق أو البالغ إلى كل شيء يصلحه خلقيا ويضبطه غريزيا. وهذه لفتة تربوية كريمة من رسول الله ﷺ لإصلاح بنى الإسلام وتربيتهم تربية صحيحة. فعلى الآباء أن يراعوا ما يأتى :

١ - عدم دخول الأبناء على الآباء وقت الراحة.

٢ - احتشام الأم والبنات وكل من بالمنزل أمام الشباب.

٣ - عدم نوم الأبناء مع بعضهم فى سرير واحد

٤- عدم ترك الحبل للشباب على غاربه فى أن يأتى بالصور العارية أو المجلات الماجنة أو القصص الغرامية أو الأغانى المثيرة دون رقيب من الأب والأم، وكذلك



ضبط علاقته فى مصادقة البنات أبناء الجيران أو من قريباته بحجة الدراسة وتبادل الكشاكيل والمحاضرات، أو إقامة صداقة يطلق عليها الصداقة البريئة. وما يقال فى حق الولد يقال فى حق البنت كذلك، بل إن البنت أحوج إلى الرقابة الأشد؛ لأنها جوهرة كريمة غالية، وهى مطمع الجميع.

إن على المعلمين فى المدارس كذلك، وخاصة الجامعات، أن يراقبوا الطلبة والطالبات ،وأن يكون هناك تحديد للزى الشرعى مما نراه من هذا السباق المحموم بين الفتيات فيما يرتدينه بلا ضابط ، وما يضعنه من مساحيق ،لأنه فى ساحات الجامعات نرى أن البنات فقدن من نفوسهن رباط الكرامة والحياء والعفاف، وهذه عدوى أصابت بناتنا من التقليد الأعمى، ثم على المعلمين والمربين والآباء ألا يسمحوا أبدا بالاختلاط فى المعسكرات أو التنزه على الشواطئ فإن ذلك مفسدة وخطر يؤدى إلى خلخلة اجتماعية وفراغ من العقيدة، وكل ذلك فيه فساد عظيم.

لذلك نحن ننبه بأن سبب وجود عوانس وعزاب هو ما يحدث اليوم وما نراه هنا وهناك؛ لأن الشاب المراهق يمشى فى الشارع فيرى الصور الخليعة ويذهب إلى ساحات الجامعات فيرى الأجساد العارية والأزياء الفاضحة، ولك أن تتخيل مُدَرِّسة أو أستاذة ملابسها قصيرة وضيقة وقد ملأت وجهها بالمساحيق ولبست شعرا مستعارا وطلت أظافرها بالدهان . . بالله كيف تعلم الشباب والفتيات؟ وأمامها شباب مراهق أو بنات مراهقات، إننا نريد أن نصل إلى الكمال عن طريق قيمنا وعاداتنا وما يغرسه الإسلام فينا من تربية إسلامية صحيحة تسعد الإنسانية فى ظلالها كما سعدت فى ماضيها.

الزواج

من نعم الله على الإنسان أنه أوجد له من بنى جنسه زوجة يسكن إليها، والحق سبحانه وتعالى بين لنا أن الزواج نعمة ،وأنه ميثاق غليظ يؤخذ على الرجل وولى أمر الزوجة على أنهما سيعيشان مع بعضهما البعض حياة المودة والسعادة، واتفقت كلمة الأمم كلها على أنه لابد من تكثير أفراد الجنس البشرى لعمارة الكون وإدامة الحياة واستكمال أسباب المعيشة . والحق سبحانه وتعالى ضرب لنا مثلا مبينا به أنه خلق من كل شىء زوجين لتستمر مسيرة الحياة ، ثم بين لنا سبحانه أن الأنبياء وهم صفوة الناس من خلق الله تزوجوا وأنجبوا الأولاد فقال سبحانه : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴿٣٨﴾ ﴾ [الرعد].

والرسول ﷺ يقول: «**تناكحوا تكثروا فإنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط**» رواه عبد الرزاق عن سعيد بن أبى هلال مرسلا.

إن الإسلام يعلن بطلان الرهبانية وينهى عن التبتل ويحث على الزواج، وجعل الإسلام الزوجة الصالحة للرجل أفضل ثروة يكتنزها فى دنياه بعد الإيمان بالله واليوم الآخر وعدها أحد أسباب السعادة . ففى الحديث الذى رواه أبو داود أن النبى ﷺ قال: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرته وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته**» ويقول فى الحديث الذى رواه أحمد والبزار: «**من سعادة ابن آدم ثلاثة ، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة: من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح. ومن شقوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء**».

كما جاء فى الحديث الذى رواه الطبرانى: «**أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة: قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وبدنا على البلاء صابرا وزوجة لا تبغيه خونا فى نفسها ولا ماله**».

ومعنى خونا : أى خيانة فهى لا تخون زوجها فى نفسها ولا ماله.

ويبين الحق سبحانه وتعالى أنه بالزواج يكون الولد . . والولد نعمة. . وزينة للحياة الدنيا .لذلك يقول عن الصالحين وهم يدعون الله تبارك وتعالى : ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**  ﴾ [**الفرقان**] .

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيمن يمتنع عن الزواج وهو قادر عليه : «لا يمنع من النكاح إلا عجز أو فجور» . .

ويقول عبد الله بن عباس : « لا يتم نسك الناسك حتى يتزوج» . . وتزوج الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى اليوم الثانى من وفاة زوجته أم ولده عبد الله وقال: أكره أن أبيت عزبا لحديث رواه الطبرانى «**شراركم عُزَّابكم**» وفى رواية أخرى «**أراذل الموتى عزاب البشر**» .

ومن فضيلة الزواج أن المتزوج يسعى فى طلب الرزق لنفسه ولغيره والنفع المتعدى إلى الغير أكثر ثوابا ،ولذلك قال بعض الفقهاء:(إن فضل المتأهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد، وإن ركعة من متأهل أفضل من سبعين ركعة من عزب)،

والتزوج عبادة وقربة لما فيه من الإحصان عن الوقوع فى المحرمات، وهو يحصن الإنسان فيحفظ فرجه ويغض بصره ،وينبغى لمن يتزوج أن يقصد بتزوجه النسل الصحيح القوى ، وتكثير عدد أمة محمد ﷺ ليكون هناك عمل وإنتاج واستصلاح للأرض، ولذلك ورد فى الحديث **«الولد من ريحان الجنة»**. وورد **«الولد ثمرة القلب»** وورد **«ما ولد فى بيت غلام إلا أصبح فيهم عز لم يكن فيه»**.

ولقد أكثر الرسول ﷺ من الأحاديث للترغيب فى الزواج . فمن ذلك قوله: **«النكاح سنتى فمن رغب عن سنتى فقد رغب عنى»** .

وفى حديث آخر : **«التمسوا الرزق فى النكاح»** أى إن الله يوسع على من تزوج ليصون نفسه ويحفظ فرجه ويغض بصره فالله يسوق إليه الخير.

وفى حديث آخر : **«من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا»**، وفى حديث آخر : **«حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله»** وفى حديث آخر **«من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتق الله فى النصف الباقى»**.

وفى حديث آخر عن عكاف بن وداعة الهلالى أن رسول الله ﷺ قال: «يا عكاف ألك امرأة ؟ قال :لا . . قال: فأنت إذًا من إخوان الشياطين، إن كنت من رهبان النصارى فالحق بهم وإن كنت منا فانكح فإن من سنتنا النكاح».

ولعله من المفيد بعد ذلك أن ننقل ما نقلته جريدة الأهرام بتاريخ ٢٠ من ذى القعدة سنة ١٣٥٢ هـ بعنوان وفيات المتزوجين والعزاب ما نصه:

يموت ٤٢ متزوجا ، و ٦٦ أعزبا فى المائة ما بين سن (٢٠ إلى ٣٠) ، و١٨ متزوجا و ٢٧ أعزبا فى المائة ما بين سن (٣٠ إلى ٤٥) و ٣٥ متزوجاو٨٥ أعزب فى المائة ما بين (س ٥٠ إلى ٦٠) أما فى الستين وما بعدها فلا سبيل إلى المقارنة بين الفريقين إذ لا يبقى من العزاب أحد.



الخطبة

الخطبة هى أن يتقدم شاب - يريد الزواج - إلى أهل فتاة يخطبها منهم ليتزوجها زواجا شرعيا. . والعرب من قديم الزمان يعرفون هذا النظام؛ لأن رسول الله ﷺ عندما خطب خديجة لنفسه وذهب أهل محمد يتقدمهم أبو طالب ووقف فألقى خطبة قال فيها : «الحمد الله الذى جعلنا من ذرية إبراهم وزرع إسماعيل وضئضئ معَدّ وعنصر مُضر، وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه، وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا، وجعلنا حكام الناس ، ثم إن ابن أخى هذا محمدا بن عبد الله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وفعلا، وإن كان فى المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة ،وهو والله بعد له نبأ عظيم وخطر جليل، وقد رغب إليكم رغبة فى كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ونشا (النش ٢٠ درهما) . .وما إن فرغ أبو طالب من خطبته إلا ووقف ورقة بن نوفل وهو ينطق بلسان عم خديجة فقال : (الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا ينكر العرب فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، فاشهدوا علىَّ معاشر قريش أنى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله).

هذه هى الخِطْبة وهى أن يذهب أهل العريس إلى أهل العروس يخطبون ودها ويعلنون أنهم راغبون فى الزواج منها، وفى ذلك اليوم يأخذ أهل الفتاة زينتهم ويجلسون فى مكان فسيح فى دارهم أو نادى عشيرتهم ويجمعون أحبابهم وأهليهم، وفى صدر المجلس ولى أمر العروس مرتديا أحسن ما عنده من الثياب متعطرا بالروائح الطيبة ،ثم يقدم أهل العريس فينزلون على هؤلاء منزلا كريما، حتى إذا اطمئن القوم فى المكان أنشأ ولى الزوج يخطب فى القوم كما فعل أبو طالب يكشف فيها عما قدموا من أجله، ويبين ما يتمتع به العريس من خلق كريم وإيمان قوى وعلاقة طيبة بالناس وحسن خلق وأدب ، وهذا هو الشىء الذى يفتخر به الإنسان؛ لأن العريس المتدين الذى يتمتع بالخلق الكريم إن أحب زوجته أكرمها وإن أبغضها لم يهنها، وبالتالى يقوم ولى أمر العروس فيذكر الرد على أهل العريس ويعلن موافقته وهذا هو يوم الخِطْبة.

ومن المعلوم أن الشاب عندما ينوى الزواج عليه أن يتخير لنفسه المرأة الصالحة، وتعرف بصلاح الأبوين لأن الرسول ﷺ يقول : **«تنكح المرأة لأربع : لجمالها، ولمالها، ولحسبها، ولدينها. فعليك بذات الدين تربت يداك»**.

وفى الأمثال «المناكح الكريمة مدارج الشرف» فلا تغتر بمن يقول «النساء أوعية» كلا : فإن الولد قطعة من كبد أبيه وأمه، وعلى فرض أنها وعاء فإن للوعاء تأثيرا على

ما فيه ، وابن أخت القوم منهم؛ فلا تتزوج بمن يـعيب ابنك بخاله فإن الولد قد يعيَّر بخاله» ولذلك جاء فى الأمثال (قيل للبغل من أبوك ؟ قال خالى الحصان).

قال أكثم بن صيفى حكيم العرب لولده : «يا بنى لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسـب، فإن المناكح اللئيـمة مذهبة للشرف. وجـاء فى الحديث «**إيـاكـم وخضراء الدّمن. قيل وما خضراء الدمن ؟ قال: المرأة الحسناء فى المنبت السوء**».

وفى حديث آخر لرسول الله ﷺ : «**الناس معادن والعرق دساس وأدب السوء كعرق السوء**» رواه البيهقى.

وبعد ذلك كله نقرأ فى القـرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿**وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴿٢٢١﴾**﴾ [**البقرة**] . وفى قوله تـعالى : ﴿**وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾**﴾ [**النور**].

إن على الشاب أن ينشـد الكمال الخلقى فى البنت والأصـالة . . والبنت كذلك عليها أن تبحث عن الشاب المتدين ولا يخدعها الذهب البراق؛ لأن البنت ليست متاعًا يباع ويُشتـرى ،وإنما هى قطعة من جسـم أبيها وأمها . والرسول ﷺ يـعبر عن ذلك فيقول: «**فاطمه بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى**» رواه البخارى .

وفى حديث آخـر للإمام أحمد أن الـنبى قال: «**فاطمـة بضعة مـنى يغضبـنى ما يغضـبها ويبسـطنى ما يبسـطها**» لذلك على الآباء ألا يـفرضوا سلطانهم عـلى أبنائهم وبناتهم إلا بالحـوار الهادئ والمناقشة، وأن يعرف الأب والـعم ،الأخ والبنت أو الولد أن الغرض من الزواج هو المعاشرة الدائمة والـمودة المبنية على الحب والحنان، وهذه الأشياء لا تشترى بالمال . ولهذا قال الرسول ﷺ : «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفـعلوا تكن فتنة فى الأرض وفسـاد كبير**» . قالوا: يا رسـول الله وإن كان فيه؟ قال: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» ثلاث مرات .

ولهذا قال رجل لسيدنا الحسن رضـى الله عنه: «إن لى بنتا فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها من يـتقى الله فيها فإنه إن أحبـها أكرمها وإن أبغضها لـم يظلمها ولم يهنها . وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها «**النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمـته**» لأن الرجل إن زوج ابنته من ظالم أو فاسق أو شارب خمر أو تاجر مخدرات إلى غير ذلك فقد جنى على ابنته وعلى نفسه ، وتعرض لسخط الله تعالى وهو مسئول عن ذلك دنيا وأخرى ؛ لأنها ستهان أمام عينيه ويهان هو وأسرته كذلك .

فعلى الآباء أن يتخيروا الشخص الكفء لبناتهم . وفى الأمثال (اخطب لبنتك ولا تخطب لابنك).

ومعنى هذا المثل أن الرجل يتخير الشاب الصالح التقى العفيف وإن كان فقيرا، كذلك الشاب يتخير الفتاة المتدينة وعليه أن يعلم أن الجمال زائل وأن المال زائل ، لكن الأخلاق هى الأصل الأصيل، والشيء الذى يلازم المرأة. ولنا فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدوة ؛فلقد كان يفاتح الصحابة فى شأن ابنته ليخطبوها فقد عرضها على أبى بكر وعثمان فسكتوا لعلمهم أن النبى ﷺ ذكرها.

ثم إن عمر وهو حاكم عام للمسلمين يخطب الأغنياء وده ويتمنى كل شخص أن يخطب عمر ابنته لولده، لكن عمر يخطب لولده بنت بائعة اللبن ! يا سبحان الله كيف؟ إنه الدين الذى يوجه إلى اختيار الصالحات القانتات المحتشمات العفيفات : ولعلنا نلحظ أن كثرة الطلاق فى هذه الأيام حيث بلغت نسبته إلى ٢٧ ٪ من حالات الزواج دليل على أن الزواج تم طمعا فى المال وجريا وراء الجمال، ولكن عندما ذهب المال وتلاشى الجمال حدث الطلاق وتشرد الأولاد. فهل يرضى بذلك عاقل؟



حق الأب فى تزويج البنت

من المعلوم أن الزواج لا يتم إلا بولى وشاهدى عقد، والولى إما أن يكون الأب أو الأخ أو العم أو الخال ، فإذا تقدم شخص لخطبة الفتاة فإن على الأب أن لا يعطى كلمة إلا بعد أن يرجع إلى ابنته وأمها ليعرض عليهما أمر الخاطب، فليس للأب حق تزويج ابنته البالغة ممن تكرهه ولا ترضى به، وعليه أن يأخذ رأيها فيمن تتزوجه أتقبله أم ترفضه؟ فإن كانت المرأة ثيبا (وهى التى سبق لها الزواج) وطلقت أو مات عنها زوجها فلا بد لها أن تعلن موافقتها بصريح العبارة، وإن كانت بكرا ، فإن الحياء يغلبها (حياء العذارى) فيكون سكوتها علامة الرضا. أما إن قالت : لا ، فليس للأب أن يجبرها على الزواج فإن زوجها فمن حقها أن تطلب الطلاق أمام القاضى. فقد روى النسائى عن عائشة : «أن فتاة دخلت عليها فقالت: إن أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته وأنا له كارهة . قالت اجلسى حتى يأتى النبى ﷺ ، فأخبرته فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها. فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبى ولكنى أردت أن أعلم النساء أنه ليس للرجال من الأمر شيء».

«وعن خنساء بن خزام الأنصارية أن أباها زوجـها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت النبى ﷺ فرد نكاحها» رواه الجماعة إلا مسلم.

وكلمة «رد نكاحها» أى أبطله وفسخ العقد.

وعن ابن عباس أن جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ، رواه أحمد.

وظاهر الأحاديث يدل على أن استئذان البكر والـثيب شرط فى صحة العقد، فإن زوج الأب أو الولى الثيـب بغير إذنها فالعـقد باطل، وإن زوج البكر دون إذنها فـيبطل العقد إلا إذا أجـازت، كما نبه الإسلام إلـى أن الأم يؤخذ رأيها ويوضع فى الاعـتبار. فقد روى أحمد عن ابن عمـر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : «**آمـروا النسـاء فى بناتهن**».

وللإمام أبى سـليمان الخطابـى كلمات قيمـة فى شرح هذا الحديـث: «مؤامرة الأمهات فى بضـع البنات ليس من أجل أنهن يملـكن من عقد النكاح شيـئا ولكن من جهة اسـتطابة أنفسهن وحـسن العشرة معـهن ، ولأن ذلك أبقى للصحـبة وأدعى إلى الألفة بين البنات وأزواجهن، إذا كان مبدأ العقد برضاء الأمهات ورغبة منهن» ثم يقول بعد كلام طويل: «وقد يحتمل أن يكـون ذلك لعلة أخرى ؛ذلك أن المرأة ربما علمت من خاصة أمر ابنتها ومن سر حديثها أمرا لا يستصلح لها معه عقد النكاح».

إن الإسلام الذى أوجب على الأب أن يستشيـر ابنته ولا يزوجها إلا برضاها ولا يكرهها عـلى قبول زوج معيـن، فإن للأب حقا على الـفتاة أن يشاورها وتبـدى رأيها والبنت قد يغلبها الحياء فسكوتها دليل رضاها أما الثيب فتعلن رأيها بصراحة.

حق الأب

حق الأب على ابنته ألا تزوج نفسها إلا بإذنه؛ لما روى من حديث رواه أبو داود والترمذى «**لا نكاح إلا بـولى**» ولحديث رواه أبو داود أيضا عن عائشة رضى الله عنها «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل**».

وإذا كان هذا هو رأى الجمـهور فإن الإمام الأعظم أبا حنيفة النعـمان وأصحابه قالوا بأن من حق الفتاة أن تزوج نفسها ولو بغير إذن أبيها ووليها بشرط أن يكون الزوج كفؤا لها : الكفـاءة من الناحية الدينية والاجتمـاعية والعائلية فإذا تزوجت فتـاة جامعية



برجل (إسكافى مثـلا) فإن من حق الأب هنا أن يعترض وأن يفسخ الـعقد لأن الكفاءة غير متوافرة؛ وإن تزوجت امرأة موظفة مـثلا بشاب لا يعمل حتى ولو كان طالب علم فإن من حق ولـى الأمر أن يعترض؛ لأن الكفـاءة المالية غيـر متوافرة، لأن أبا حنـيفة عندما أجاز لها أن تزوج نفسها اشترط الكفاءة وكان للأولياء حق الاعتراض.

وقد استدل الإمام أبو حنيفة على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ **فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٣٤﴾** ﴾ [**البقرة**].

فإن تقدم إليها كفء يماثلها دينيا واجتماعيا وماليا وصحيا ورضيت به لكن أهلها اعترضـوا عليه لأسباب لـم يذكروها، والفتاة تـريد أن تتزوج به فإن من حق الـفتاة أو المرأة عند اعتراض أهلها على هذا الزواج أن ترفع أمرها إلى الولى (وهو الحاكم العام أو من ينوب عنه كالقاضى ، أو المـحافظ ، أو مدير الأمن ، أو من ينوب عن هؤلاء كالعمدة فى القرية أو المأمور فى المركز) . وحكمه يسرى دون اعتراض.

وقد اشتـرط الفقهاء حـضور الولى فإن لم يـحضر فإن الجـمهور يعتـبر الزواج باطلا.

جاء فى كتاب المـغنى لابن قدامة: «فإن حكم بصحة هذا الـعقد حاكم أو كان المتولى لعقده حاكم لم يجز نقضه».

ويقـول ابن قدامـة بعـد ذلك : «ومع هذا فـإن الأولى والأوفق أن يـتم الزواج بموافقة جـميع الأطراف: الأب، الأم، الابنة حتى لا يكون هناك مجـال للقيل والقال والخصومة و الشحناء . . وقد شرع الله الزواج مجلبة للمودة والرحمة» ا هـ.

والمطلوب من الأب أن يتخـير لابنته الرجل الصالح الذى يسعـدها وتسعد به، وأن لا يقف حجـر عثرة فى عـدم زواجها بمن تريد إذا كـان كفؤا لهـا، ولما ورد فى الحديث الذى رواه الـترمذى : «**إذا أتاكم من ترضون خلقه وديـنه فزوجوه، إلا تفعلوه تكن فتنة وفساد عريض**».

إن الإسلام علم الأب والأم أن ابنتهـما إنسانة مثلهما ،وهى ليـست سلعة تقدم لمن يدفع أكـثر، ويدفع بها لمن يـمتلك العمارات والأطـيان ، حتى ولو كان شـيخا هرما، وهى لا تتعدى الثلاثين؟!!!.



الصداق

كرم الإسلام المرأة ورفع شـأنها ، وأمر الرجل أن يدفع إليها المهـر عند التقدم لخطبتها ، وجعل هذا من الأمور الواجبة على الزوج. يقول الله تعالى : ﴿ **وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا** ﴿٤﴾ ﴾ [**النساء**]

والنحلة : هـى العطية والهـدية يقدمها الـرجل إلى المرأة تأليـفا لقلبهـا ورعاية لحقها وإعزازا لشأنها.

وهو صلة من الرجل لامرأته بحسب ما سيكون إن شاء الله ، تأخذه الفتاة كاملا غير منـقوص لا سبيل لأحد إليـه ولا سلطان له عليه. ولـقد كان العرب يتركـون مهر ابنتهـم لها لا يأخذون منه أى شىء، وكـانوا يعتبرون الـرجل اللئيم الخبـيث هو الذى يأخذ مهر ابنته ولا يـترك لها منه شيئا، ولذلك كانوا يقدمون الـذهب السبيك ويبذلون منه على قدر ما رزقوا مـن نعمة العيش (كل على قدره) وأحيانا يقـدمون إليها «النوق» أى الجمال، وأحـيانا إذا كان الرجل من الأغـنياء يجمع بين الاثـنين ، فقد أمهـر عبد المطلب ابن هـاشم فاطمة بنت عمـرو مائة ناقة ومائة رطل من الـذهب؛ وكان الرجل العربى لا يساوم فى مهر ابنته وحسبهم من الرجل جهد همته وبعد غايته وسناء نسبه.

جاء فى كتـاب جمهرة الأمثـال : «أن لقيط بن زرارة ذهب إلى قـيس بن خالد كريم العرب وأحد ملوكها يخطب إليه ابنـته وتكلم بكلمات كشفت منه عن قلب ذكى ونسب سنى وأنف حمى فزوجه الملك ابنته لليلته وساق إليها المهر عنه».

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى ينبهنا إلى أن مهر المرأة وصداقها لا يجوز لنا أن نمنعه عنهـا أو نأخذه منها فالمهـر كله لها، وهى لها ذمة مـالية مستقلة فتـتصرف فى مهرها كما تشاء . والإسلام لم يحدد قيمة المهر وإنما تركه حسب الاتفاق، والقدرة، ودعى إلى التيسـير، ففى الحديث عن رسول الله ﷺ الـذى رواه الإمام أحمد : «**إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها وتيسير رحمه**». (أى ولادتها).

وروى الإمامان : البخارى ومسلم فى صحـيحيهما أن رجلا سأل رسول الله ﷺ أن يزوجه امرأة فقال عليه الصـلاة والسلام: هل عندك من شىء؟ فقال: لا والله يا رسول الله، فقال :اذهب إلى أهلك هل تجد شيئا ؟ فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئا، فقال رسول الله ﷺ:انظر ولو خـاتما من حديد، فذهب ثم رجع فقال: لا والله



يا رسول الله ولا خاتما من حديد ولكن هذا إزارى فلها نصفه، فقال عليه الصلاة والسلام : ما تصنع بإزارك؟ إن لبسْتَه لم يكن عليها منه شىء وإن لبستَه لم يكن عليك منه شىء فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام فرآه رسول الله ﷺ موليا (منصرفا) فأمر به فدعى له ،فلما جاء قال : وماذا معك من القرآن؟ قال: معى سورة كذا . . وسورة كذا . . عددها . . فقال : تقرأهن عن ظهر قلب؟ قال: نعم ، قال : اذهب فقد زوجتكها بما معك من القرآن (أى أن المهر الذى يدفعه الرجل لهذه المرأة أن يعلمها القرآن) ولو علمها القراءة والكتابة أو حرفة جاز ذلك.

وهذا هو عين التيسير فى الزواج لأن غلاء المهور جعل الشباب ينصرف عن الزواج ويفضل حياة العزوبة بدل الاستدانة من الناس (لأنه يؤمن بأن الدين همٌّ بالليل وذل بالنهار) وكان هذا من الأسباب التى أدت إلى تفشى ظاهرة (العوانس فى المجتمع).

لذلك يقول الرسول ﷺ: **«إن خير النساء أيسرهن صداقا»**.

وروى أصحاب السنن أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لا تغالوا فى صداق النساء (أى مهورهن) فإنه لو كان مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبى ﷺ لأنه ما أصدق امرأة من نسائه ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من اثنتى عشرة أوقية من فضة (وهى تساوى اليوم ٣٤٠ جراما على وجه التقريب) .

وإذا كان من المتعارف عليه الآن أن المهر قسمان (معجل - ومؤجل) فالمعجل: يدفعه الزوج عند العقد وقبل الدخول بالزوجة، والمؤجل ، يبقى فى ذمته دينا عليه إلى أن يفارقها إما بطلاق فيجب عليه أن يدفع ما لها فى ذمته من المهر المؤجل ، فإن لم يؤد هذا الحق لقى الله وهو زان. . ففى الحديث الشريف **«أيما رجل تزوج امرأة فنوى ألا يعطيها من صداقها شيئا مات يوم يموت وهو زان»**.

وفى حديث آخر **«إن أعظم الذنوب عند الله رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته طلقها وذهب بمهرها»** وإذا مات الرجل وفى ذمته صداق زوجته وهى على ذمته كان دينا يؤخذ من التركة قبل أية حقوق أخرى؛ لأنه حق ثابت فى ذمة الرجل الذى توفى يؤخذ من التركة قبل تنفيذ وصيته أو تقسيم تركته؛ أما إذا ماتت هى فالمهر المؤجل فى ذمته ميراث لها وتركة تقسم على الورثة وهو منهم فإن كان الأب أو الأم أو هما معا أحياء فلهما فى هذا نصيب.



ونحن نقول للرجل: عليك أن تبرئ ذمتك إما أن تجعلها تتنازل عن بقية صداقها بطيب خاطر، إن لم يكن فى مقدورك أن تدفع . . وإما إذا كان فى مقدورك فادفع لتلقى الله وأنت طاهر!!

ونذكر هنا من الأمثال العربية قولهم :«الأزواج ثلاثة : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر: فأما الزوج المهر ؛ فرجل لا شرف له يسمى المهر - أى يذكر المهر الكثير ليرغب فيه (أى يجلس إلى أهل العروس فيقول سوف أدفع لها مهر كذا. . وأكتُبُ لها كذا. . وأشترى لها كذا. . .ثم يتزوجها ولا يدفع أى شىء.

وأما الزوج البهر فالشريف وإن قل ماله تتزوجه المرأة لتفتخر به (أى أنه رجل أصيل يحفظ الود ويرعى العشرة ويقوم على رعاية البيت ويكرم الزوجة لإيمانه القوى بقول الرسول ﷺ : **«إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فليسعهم منكم حسن الخلق»**.

فهذا الرجل خليق أن نزوجه بناتنا لأنه يصونهن ويحفظ ودهن.

وأما زوج دهر ؛ فذلك الكفء الذى لا عيب فيه. . هذا ما كان عليه العرب وما وجهنا إليه الإسلام لأن الزواج عشرة ومودة ، والرجل هو الأساس الذى يرعى أمر زوجته، ويدبر شأنها . وصدق رسول الله ﷺ : **«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى»**.

يوم البناء

من أجل الأيام وأحسنها بهجة يوم دخول الزوج على زوجته فهو يوم لا ينسى من ذاكرة الزوج أو الزوجة؛ لذلك لا تجد فى مأثور حياة العرب ومعدود أيامهم يوم أتم بهاء ولا أعم صفاء ولا أكثر ضياء ولا أجمع لشمل العائلة من يوم البناء.

إنه يوم تزداد فيه الأفراح ويظهر البشر على وجوه الجميع لأن العائلات تتلاقى، والتهانى تقدم ، والحلوى توزع والشباب يتبارى فيلعبون بالرماح أو يركبون متون الخيل ويرقصونها على طبل وزمر ، وتجد دار العريس يقدم فيها الطعام وقد زينت بأبهى زينة وبداخلها نرى الفتيات يأخذن أماكنهن ويبدأن فى إظهار الفرح بنوع من اللهو والمرح، ولهذا يكون الليل أحسن ما اكتحلت به أنظار العرب حتى جعلوا يوم الفرح مضرب أمثالهم فقالوا: يا ليلة (ما ليلة العروس).



أما فى بيت العروس فإن النساء يتجمعن حولها ويعملن على إظهار زينتها ويلبسونها من الحلى ما تملك وما لا تملك؛ لأن أمها تستعير لها أحسن ما فى الحى ثم تنتقل العروس فى هذا الزى البهى من بيت أبيها وحولها صديقاتها وأترابها حتى يصلن بها وهن يغنينها بمآثر آبائها، والغر الميامين من قومها. فقد حدّث البخارى عن الرُّبيع بنت معوِّذ بن عفراء أنها قالت: جاء النبى ﷺ فدخل حين بُنِىَ على فجلس على فراش كمجلسك منى (تخاطب راوى الحديث) فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من آباءنا يوم بدر . إذ قالت إحداهن: (وفينا نبى يعلم ما فى غد) فقال : «**دعى هذا وقولى بالذى كنت تقولين**» وكانت النساء يقلن للزوجة عند مفارقتها (باليمن والبركة وعلى خير طائر) وكذلك «بارك الله لك . وبارك فيك . وبارك عليك وجمع بينكما بخير».

وإذا كان هذا فى أيام العرب فإن نفس الصورة تتكرر وإن اختلفت فى بعض مظاهرها عما هو عليه الحال إلى الآن ، ولكن النساء عند رجوعهن من زفاف العروس ودخولها إلى بيت زوجها يغنين قائلين: «قولوا لأبوها إن كان جعان اتعشى» ويقلن كذلك (لك السعد يا مشرفة بيت أبوك ورافعة رأس أخوك) .

وقد جئنا بهذه النماذج ليكون القارئ على بينة من أن الزواج من الأمور الجميلة التى تكون سبب بهجة وسعادة وفرح، يعقب ذلك مودة ورحمة بين أسرتين، ثم نجد أن الحى أو القرية يبارك كل ذلك.

لذلك أوجب الإسلام الإعلان فى الزواج وأمر بضرب الدف وعقد القران فى المسجد ليشهد عليه أهل الصلاح والفلاح الذين يؤدون حق الله وحق المجتمع . ففى الحديث «**أعلنوا هذا الزواج بالمساجد واضربوا عليه بالدف**».

إن الإسلام عندما نبهنا إلى ذلك فهو يعلمنا أن الزواج السرى حرام؛ لقول الله تعالى :  ﴿ **وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [**البقرة**] .

وإذا كان الإسلام حرم السرية فى الزواج فهناك أنواع أخرى من الزواج كان متعارف عليها عند العرب، إلا أن الإسلام حرمها تكريما للمرأة وصيانة لحقها وحفاظا

عليها من العبث ؛ لأن المرأة جوهرة ثمينة غالية لا تقدر بمال، فهى الأم، والأخت ، والابنة ،والعمة ، والخالة. وقد أوجب الإسلام لكل واحدة من هؤلاء حقوقا؛ لذلك حرم الإسلام الزواج منهن أو نكاحهن تحت أى مسمى، وهناك المحرمات اللاتى ذكرهن الله سبحانه فى قوله : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا (٢٣)** ﴾ [النساء].

وإذا كان الإسلام قد حرم نكاح هؤلاء تحريما مؤبدا فذلك رعاية للنسب وللمصاهرة والعشرة الدائمة وصيانة لذوى القربى، كما أنه حرم الأنكحة التى شاعت بين العرب قبل الإسلام مثل :

١ - نكاح الاستبضاع:

وهو أن يأذن الرجل لزوجته بعد أن تطهر من دورتها الشهرية أن تمكن من نفسها رجلاً يحدده لها كأن يكون شاعراً أو شجاعا أو كريما أو وجيها حتى تحمل منه وتجيء بولد مثله ، وبلاشك : هذا نكاح فاسد لأنه زنا ، وقد حرم ذلك الإسلام ،وهو شبيه بالاستنساخ الذى ظهر حديثا .



٢ - نكاح الرهط :

هو أن تمكن المرأة من نفسها جماعة من الرجال يدخلون عليها الواحد بعد الآخر فإذا ما أتت بمولود ألحقته بمن تحب من هؤلاء الرجال ، وهذا حرام لأنه زنا أيضا ؛لأن المرأة لا يجوز لها أبدا أن تجمع بين رجلين أو أكثر فى وقت واحد، وذلك ليعرف الأب الحقيقى للولد ولئلا تهان المرأة وحتى لا تختلط الأنساب وتضيع المواريث.

٣ - نكاح السفاح :

وهو ما يعرف بالبغاء العلنى بأن تمكن المرأة نفسها لأى رجل يدفع الأجر وهذا حرام لأنه زنا . وهذا يؤدى إلى انتشار المرض والانحلال الخلقى.

٤- نكاح المتعة:

وهو زواج مؤقت ومحـدد بمدة معينة، وهذا حـرام لأن الغرض من الزواج هو العشرة الدائمة والمودة القائمة بين الزوجين لإنجاب أولاد وتكوين أسرة سعيدة؛ لذلك حرمه الإسلام . .

٥ - نكاح البدل :

وهو أن يتبادل الرجل زوجته مع رجل آخر يأخذ هو زوجته لمدة يوم أو شهر أو سنة أو أى مدة يتراضيا عليها ، وهذا حرام لأنه إهدار لكرامة المرأة وعبث بها .

٦ - نكاح الشغار:

وهو أن يتفـق رجلان مع بعضهـما ليتـزوج كل منها أخت الآخر أو ابـنته بدون مهر . . وهذا حرام لأن المهر حق المرأة وهذا التبادل يضيع عليها حقها .

ولما كانت لـها ذمة مالية مسـتقلة والمهر من حـقها فهذا النكـاح باطل لأن فيه ضياعا لحقوق المرأة .

والمتأمل فى هذه الأنكحة التى سادت فـى دنيا العرب قبل الإسلام يرى أنها لا تكون أسرة ، لذلك فقد أبطلها الإسلام وحرمهـا لما فيها من إجحاف بالمرأة وإهدار لكرامتها وضياع لحقوقها .

أما الزواج الشرعى الحلال الذى أقره الإسلام هو الذى يتم بالصورة التى ذكرناها بحيث يذهب العـريس مع أهله إلى أهل العروسة فيـخطبها منهم ويشهـد الشهود على ذلك ويقدم المهر عـاجله وآجله ثم تزف العروس إلى زوجها فى مظاهرة شـعبية يظهر فيهـا الفرح والسرور على مرأى ومـسمع من أهل الحى كلهم، وتعـد الولائم لأنه من السنة إعداد وليمة من الطعام ، وقد قال جمهـور العلماء بأنها سنة مستحبة، وقد أولم الرسول ﷺ لأصحـابه عندما تزوج كما أمر الإمـام عليا أن يعد وليمـة عند زواجه من فاطمة رضى الله عنها .

إن الإسلام منح المرأة قدرا عظيما من الكرامة كما منحها الحرية مما يؤهلها لأن تحيا حياة سعيدة، وإذا ما تألمنا فى بعض ما منحها الإسلام من حقوق نرى أنها نالت: حق اختيار زوجـها ، فلها الحق أن تقبل أو أن ترفض، وليس للآبـاء أن يتحكموا فى



تزويج البـنات بدون رضائهن ، وإذا كـانت بعض الأسر تزوج بـناتها رغمـا عنهن ولا يرغبن فى الزواج ممن قدمهم الآباء فـإن الرسول ﷺ أبطل مثل هذا الزواج. وقد جاء فى الحـديث الذى رواه البخارى عـن النبى ﷺ : **«لا تنكـح الأيم حتى تـستـأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن»**. قالوا : يا رسول الله وكيف إذنها ؟ قال : **«أن تسكت»** .

إن الإسلام الذى نؤمن به لا يقر السلبـية فى حياة الناس ، ولا يرضى أن تكون خلقا من أخلاقهم : إنما الذى يقبله الإسـلام ويرتضيه ، أن يكون الإنسان له شخصية مستقلة ولا يتردد فى نفس الوقت أن يرفض التقليد الذميم ويمقته ،وأن يكون عنده ثقة فى الله وثقـة فى نفسه يقبـل الحق والتمسك به ويـعلن دائما أنه يقبـل الحق وإن كان مـرًّا. . لأن من أسلم نفسه لغيره وانقاد له ولم يناقشه الرأى فهو عبد رقيق. لهذا روى الترمذى عـن رسول الله ﷺ : **« لاتكونوا إمعـة تقولون إن أحسن النـاس أحسنا وإن أساءوا أسـأنا، ولكـن وطنوا أنفـسكم إن أحـسن الناس أن تـحسنـوا وإن أساءوا أن لا تفعلوا»** .

لذلك اهتم الإسلام بتربية الإنسان المسلم عـلى الإيمان القوى الذى تتجسد فيه القيم الأخلاقية العالية وتتأصل فيه المبادئ الكريمة من : العزة والكرامة ، والمروءة ، ولهذا رأينا الاهـتمام بالتربيـة العقلية للإنسـان على أسس قوية من المـعرفة الحقيـقية والثقافة الهـادفة العامة التى تشمل ألوان المـعارف والعلوم، ويستدل بما كتـبه عمر بن الخطاب رضـى الله عنه إلى أبى مـوسى الأشعرى يأمـره بتعلم الـشعر فإنـه يدل على معالى الأخلاق حيث قال فى رسالته: (اروو من الشعر ألمعه، ومن الحديث أحسنه، ومن النسب ما تتواصلون به ،فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت ، ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق وتنهى عن مساوئها) .

ما الذى حدث ؟

لقد رأينا الإسلام ومنهجه حيث حث على الزواج ورغب فيه لما له من آثار طيبة وفوائد عظيمة ثم نبه إلى التيسير فى المهر وعدم المغالاة فيه، وذلك من باب الدافع لكل مسلم أن يتزوج قبل أن يبلغ ٢٥ سنة، ولكننا رأينا أن نسبة العوانس تزداد يوما بعد يوم والعُزّاب يتزايدون، والملاحظ لهذا الأمر يتبين أن خللا حدث مما جعل الشباب يعزف عن الزواج وأدى ذلك إلى ظهور فئة العوانس فى المجتمع فهل مرد ذلك إلى الأمية الدينية،حيث إن الناس لا يفهمون أصول التشريع وبدأوا يخرجون على المألوف؟ أم أن هناك إغراء بالفساد وأصبحنا فى جو كل ما حول المرء يدفع إلى الإثم، وأصبح الشباب فى ميدان فسيح تغمره اللذات وتدفعه المحرجات : فها هم يرون الرجال يستحدثون كل يوم أسلوبا من اللهو، ويستجدون ضروبا من الشهوات ولا ينزعون عن حمية حيث تدفعهم المآرب والأوطار ، وتحدوهم الكئوس والأوتار ، فى نفس الوقت أصبحت النساء يجررن أذيال اللهو ويجرين فى مستنقع الفساد ، ويتصيدن الرجال بما يستخف ألبابهم من تسريحة الشعر ورائحة العطر ، وقد أصبح الإنسان منا فى هذه الأيام يشفق على قلبه أن يذوب أسًى ، وعلى نفسه أن تذهب حسرات، حيث إن القوم عندهم رقة فى الدين ، وفساد فى المروءة، وأين هذا من زمن مضى قال فيه الرجل الأصيل :

أعمى إذا ما جارتى خرجت ... حتى يوارى جارتى الخدر

ما ضر جارى إذ يجاورنى ... أن لا يكون لبيته ستر

ويقول الآخر :

وأغض طرفى إن بدت لى جارتى ... حتى يوارى جارتى مأواها

هل مرد ذلك كله إلى وسائل الإعلام حيث إن المسموعة منها تصب فى أذنيك الأغانى الخليعة التى تجعلك تنفر من الزواج وتخاف من عاقبته ؟ . .

أم المرئية وقد أصبح العرى والرقص والابتذال لا يفارق الشاشة الموجودة فى كل بيت إلا عند الأذان أو نشرة الأخبار ؟.

أم المقروءة وقد أصبحت المجلات والصحف السيارة لا تخلو من مناظر تشمئز منها العين الناظرة ؟.

أم هو هروب الشباب لأنهم يعتبرون أن الزواج قيد من قيود الاجتماع ثم هم يعيشون يومهم يسمعون أو يرون أو يقرأون، ولا يصل إلى أسماعهم وأبصارهم إلا ما يوقظ الفتنة ويترك الشاب فى مهب الريح، وخاصة أن بعضهم متعطل لا عمل له ولا قدرة لديه وأصبح بعضهم يردد :

إذ لم تكن طرق الهوى لى ذليلة ... تنكرتها وانحزت للجانب السهل

ومالى أرضى منه بالجور فى الهوى ... ولى مثله ألف وليس له مثلى

ولعل هذا الأمر هو الذى جعل المرأة تفرط فى كثير من حقوقها، ومن ذا الذى يشترى الرخيص المبذول ، ويحاول أن يصون البغيض المملول ، ومن هنا جاء التفريط فى المرأة ، وعدم الحفاظ عليها أو الغيرة ، وليس هذا إلا فى فئة قليلة ولكنه مرض خطير ينذر بعواقب وخيمة مما أدى إلى ما نسمع عنه (بالزواج العرفى) أو (الزواج المؤقت) : هذا هو المرض الذى علينا أن نشخص العلاج له؛ لأن وجود (العانس) أو (الأعزب) لو ترك على ما هو عليه لأدى ذلك إلى خلل فى المجتمع وتصدع فى العلاقات الإنسانية ثم بدأنا فى الآونة الأخيرة تسمع ما يقوله البعض مثل :

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ... جزوعا إذا بانت فسوف تبين

وإن هى أعطتك الليانة فإنها ... لغيرك من خلانها ستلين

وخنها وإن كانت تفى لك إنها ... على مدد الأيام سوف تخون

وإن حلفت لا ينقض النأى عهدها ... فليس لمخضوب البنان يمين

وقول الآخر :

كان الشباب مطية الجهل ... ومحسن الضحكات والهزل

الباعثى والناس قد رقدوا ... حتى أزور حليلة البعل



لذلك توالت النذر المؤذنة باضطراب المجتمع لو سار على ما هو عليه، فإن أى مجتمع يتخلى عن الفضائل وينحدر إلى الرذائل فقد حقت عليه كلمة الله ؛ لأن التبرج الذى يكون من ورائه تصيد الرجال فيؤدى ذلك إلى التهتك، وفى هذا المناخ تفقد المرأة أنوثتها ،وبالتالى فليس هناك إنجاب لأطفال .

ولقد حدث أيام الدولة العباسية مثل هذا الجو مما دفع بالعلماء أن يعلنوا أن المرأة تمنع من كشف الوجه بين الرجال ،وقالوا بأن الكشف عورة، بل لما رأوه من فساد قالوا: إن باطن القدمين عورة، وزادوا بأن صوتها ونغمته حتى فى قراءة القرآن عورة، وتأول فقهاء القرن الخامس على أنه لا يجوز للمرأة أن تلبى فى الحج جهرة لأن صوتها عورة، ولو جهرت بالقراءة فى الصلاة بطلت صلاتها.

إن التشدد فى الأحكام الدينية لا يظهر على ألسنة الفقهاء إلا إذا ظهر الفساد وكثر العوانس بين الفتيات والعزاب من الشباب.

إن الإسلام هو دين الاعتدال، والتوسط ، والطهارة والعفة ، لذلك أمرنا أن نصون أنفسنا بالزواج ، وفى حالة عدم القدرة على الزواج فإن الإسلام وضع قاعدة يقول فيها ربنا جل جلاله : ﴿ **وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿٣٢﴾ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ... ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور] .



والرسول ﷺ يقول : «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» رواه الجماعة .

الوجاء : مأخوذ من وجأ : وهو بكسر الواو إذا دخلت عليه أل، وهو بمعنى القطع فالصوم إذًا قاطع للشهوة لمن لم يستطع النكاح .

الأسباب الحقيقية:

إن الأسباب الحقيقية خلاف ما قدمناه لظهور طبقة العوانس فى مجتمعنا الملموس، سبب ذلك ومرده إلى: عزوف الشباب عن الزواج الذى شرعه الله ويسَّره،

ولا شك أن انصراف الشباب إلى حياة العزوبة البغيضة التى هى من أكبر العوامل فى الانحرافات النفسية والخلقية والأمراض الجسمية والعقلية والأخطار الاجتماعية والاقتصادية، فإن مرد ذلك إلى أسباب مادية، ومؤثرات اجتماعية، فعلينا إذًا أن نستقصى الحقائق ونتعرف على أهم الأسباب والمؤثرات التى دفعت بالشباب إلى هذه الحياة وأهمها:

١ - غلاء المهور

إن القاعدة الأساسية فى الإسلام تقول: «**إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه**» والرسول ﷺ قال للرجل فى الحديث الصحيح: «**التمس ولو خاتما من حديد**» لكن الناس فى مجتمعنا بدأوا يدفعون بالألف والعشرة والمائة والمليون . . وهذا أمر إن رضى به واحد واستطاع لا يقدر عليه الآخرون فنحن نعلم أن القرآن الكريم يقول لنا: ﴿ **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا** ﴿٣١﴾ ﴾ [**الأعراف**]. ويقول سبحانه: ﴿ **إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ** ﴿٢٧﴾ ﴾ [**الإسراء**] بل إن الرسول ﷺ مر على سعد وهو يتوضأ فقال له: «**ما هذا السرف يا سعد؟**» فقال سعد: **أفى** الوضوء سرف يا رسول **الله**؟ قال: «**نعم وإن كنت على نهر جار**» . . من هذه النصوص يتبين أن الإسلام يدعو إلى الاعتدال. وانظر مثلا إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام زوج الرجل بالمرأة وجعل صداقها أن يحفظها القرآن . . والإمام على كرم الله وجهه عندما خطب السيدة فاطمة رضى **الله** عنها قال الرسول ﷺ لسيدنا على «**أعطها شيئا**» قال ما عندى . . قال: «**فأين درعك الحطمية؟**» قال: هى عندى، قال: «**اعطها إياها**» رواه النسائى.

ونلحظ من هذا السياق أن المهر يكون بأى شىء له قيمة لأن الرسول ﷺ يقول: «**أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة**».

إن الشريعة الإسلامية تركت تحديد المهر للأهل والزوجين لأنه شرط من شروط صحة العقد . . والمهر يكون بأى شىء كل على حسب قدرته وطاقته ﴿ **لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا**  **وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [**البقرة**]. وقوله سبحانه: ﴿ **لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ**

اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴿٧﴾ [**الطلاق**] . فليس هناك نص محدد لتحديد المهر ، وعلى الأهل دائما أن يعلموا أنهم لو أنفقوا على المهر ما أنفقوا فلن يستطيعوا أبدا أن يقيِّموا المرأة لأنـها كيان عظيم، فلا تباع ولا تشترى وإنمـا يكون التيسير، لأن الشريعة الإسلامية الغراء هى التى جاءت بقول الله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾** ﴾ [**البقرة**] .

غير المهر

إن الزواج قائم على المـودة والألفة لكن مما يؤسف له أنه عندمـا يتقدم الشاب لخطبة فتاة ويطالبـه أهلها بتجهيز مسكن الزوجية وإعداده وشـراء الشبكة إلى غير ذلك من المطالب الأولية، ثم يـفاجأ العريس بأنه مطلوب منه إقامـة حفل الزواج فى فندق (كذا أو كـذا) فيذهب الـعريس إلى هناك ويـفاجأ بأن اللـيلة لا تقل عن عـشرة آلاف جنيه. . تأجـير عدد من السيارات لنقـل المدعوين . . إقامة الزينـات فى بيت العروس وبيت العريس . . تكلـفة الكوشة. . ثوب الزفاف. . ولقد سألت الـبعض عن أسعار أثواب الزفاف، فأجاب بأن بـعض أثواب الزفاف يصل ثمنها إلى مبالـغ خيالية على أن أقلها تزيد عن المائة جنيه فى بعض الحالات ؛ وبطاقات الدعوة إلى الفرح التى ستوزع على المدعوين . . التصـوير والحجز عند المصوراتى بالفيديو من مـستلزمات العصر؛ ثم بعد ذلك أين يـتم قضاء شهر العسل. . بـهذه المشاكل يبدأ العـريس، وهنا يضرب أخماسـا فى أسداس . . الأمر الذى يؤثـر عليه سلبيـا ، ويشعر بأن الزواج قـد أرهقه بالتكاليف فيموت الود وتنطفئ شعلة الحب.

وتعالوا بنا نعيش فى قصة واقعيـة لنعرف إلى أى حد سرنا نقلد غيرنا دون وعى ثم أوجدنا النفور عند الشباب دونما إدراك لوقائع تاريخ سلفنا الصالح، فقد روى أن سعيد بن المسـيب رضى الله عنه كبير علماء عصر التابـعين يقتدى برسول الله ﷺ فى اختيار الكفء لابنته دون أن ينظر إلى الجاه والمال علما بأن ابنته تقدم لخطبتها أكابر القوم وعظمائـهم لكنه بحث عن الرجل المتدين الذى يصون ابنـته فاختار طالب علم فقير هو «عبد الله بن أبى وداعة» الذى كان جالسا يتعلم من سعيد، ثم تغيب أياما



عن المجلس ، فلما حضر سأله سعيد أين كنت ؟ قال توفيت زوجتى فانشغلت بها، قال سعيد : هلا أخبرتنا فشهدناها؟ . فلما أراد عبد الله أن يقوم سأله سعيد : هل استحدثت امرأة؟ (أى تزوجت ثانية) فقال عبد الله : يرحمك الله يا شيخى ومن يزوجنى وما أملك سوى درهمين؟ قال سعيد أنا ،قال عبدالله : أو تفعل ؟ قال سعيد: نعم !! فحمد الله وصلى على النبى ﷺ ، وزوجه على الدرهمين ؛ يقول عبد الله فسعدت سعادة غامرة وقمت وما أدرى ما أصنع وتوجهت إلى منزلى وجعلت أفكر ممن أستدين لإصلاح البيت، وبعد صلاة المغرب أسرجت السراج فى بيتى وقدمت عشائى، وكان خبزا وزيتا، وإذا ببابى يقرع فقلت من الطارق؟ قال : سعيد ،ففكرت من يكون سعيد هذا الذى يطرق بابى فى هذه الساعة؟ فقال :سعيد بن المسيب، فانتابنى خاطر ربما يكون قد بدى له شىء ، ففتحت الباب ، وقلت : أبا محمد !! لو أرسلت إلى لأتيتك ، فقال : لأنت أحق أن تؤتى !! قلت : فما تأمر ؟ قال : كرهت لك أن تبيت الليلة وحدك وهذه امرأتك وكانت تقف خلفه فى طوله، فأخذ بيدها وقدمها إلىّ ثم انصرف : فأغلقت الباب وقدمت إلى القصعة التى فيها الخبز والزيت فوضعتها فى ظل السراج لكى لا تراها ثم صعدت السطح وناديت على الجيران فجاءونى وقالوا: ما شأنك؟ قلت: ويحكم زوجنى سعيد بن المسيب ابنته اليوم، وقد جاء بها الليلة على حين غفلة ، قالوا : أو سعيد زوَّجك؟ قلت: نعم فنزلوا إليها وأرسلت إلى أمى فجاءت ومكثت أمى ثلاثة أيام تؤنسها وتصلح من شأنها وشأن البيت ثم دخلت بها فإذا هى أجمل النساء وأحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج، ورعاية البيت ، ومضى شهر لا يأتينى سعيد ولا آتيه وبعد شهر التقينا فقال: ما حال ذلك الإنسان ؟يقصد زوجتى، قلت: بخير يا أبا محمد نعمت التربية!! . . .

ومن طريف ما يحكى أن الشيخ أبا بكر بن محمد بن اللباد المتوفى سنة ٣٣٣هـ حضر فرحا فوجد أن والد العروس قد شور ابنته شوارا كبيرا فعجب الناس، وكان الناس يهنئون صاحب الشوار لكن أبا بكر قال: لا أخلف الله عليك بخير ، فقد أكمدت جارك – أى أحزنته – وأعضلت ابنته (لأنها فقيرة لا تستطيع أن تشور كصاحبتها فيكون ذلك سببا فى عنوستها) وخالفت سنة رسول الله ﷺ – لأن فعل الغنى كسر لقلب الفقير .

إن الحل العملى الذى يرتبه الإسلام أن على الآباء والأمهات أن يقدروا مصلحة الشباب ، حتى لا يتورطوا فى الانحلال ، ومصلحة البنات حتى لا يصيروا إلى

العنوسة أو السقوط، ثم يقدروا مصلحة المجتمع وينهجوا نهج السلف الصالح فى تيسيرهم للمهور وغير ذلك . . كما أن عليهم أن يبتعدوا عن طلب الهدايا من العريس فى المواسم والأعياد والمناسبات، وكذلك نفقات حفلات الزفاف إلى غير ذلك مما ذكرناه.

فإن على الآباء أن يرضوا بالخاطب الصالح ذى الدخل المحدود، والراتب الثابت لو كان قليلا؛ لأنه هو الذى يصون العشرة ويرعى الذمة فى العروس.

إنكم إن أردتم لبناتكم السعادة ولمجتمعكم السلامة ففتشوا عن الخاطب المسلم ، الرجل المتسم بالمروءة، ولا ترهقوه بكثرة المطالب وتجعلوه يعيش مدينا يلعن اليوم الذى عرفكم فيه، ويندب حظه، وإن زادت عليه همومه طلق العروس المسكين ، ورضى من الغنيمة بالإياب، فلا تضعوا العراقيل من ناحية المهور والتكاليف وغير ذلك ولكن : من يسر . . يسر الله عليه . . والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه، ومن أعان مسلما أعانه الله ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة.

الشقة

إن ما قدمناه من ناحية المهر والشبكة والأثاث وغير ذلك أمر هين، لكن الأصعب والأشق هو الحصول على شقة ، فما يكاد الخاطب يفرغ من تلكم المستلزمات إلا ويفاجأ بطلب أهل العروس للشقة. والحصول على شقة فى هذه الأيام أمر عسير مما جعل الزواج فى حالة أقرب إلى الشلل، ولك أن تتأمل فى هذا الشاب الذى لا يقدر على دفع ثمن الشقة، بينما الفتيات يعشن فى أحلام وردية، ولكن يطول الوقت ويمضى الزمن، وإذا بالزواج حبرعلى ورق أو زواج مع وقف التنفيذ. ولقد قامت صحفية بعمل بحث ميدانى على مليون شاب وفتاة يعيشون هذه المشكلة ، وقد ثبت من البحث أن نسبة ٤,٨ ٪ من الحضر قد عقدوا قرانهم لمدة تزيد عن الأربع سنوات بينما فى الريف تبلغ النسبة ٣,١ ٪ معقود قرانهم كذلك لمدة تزيد عن ثلاث سنوات، وكانت الإحصائية النهائية لهذا البحث الميدانى هو (٩,٦١٤,٤٨٣) فى الوجه البحرى، وكان هذا الإحصاء فى يولية سنة ١٩٩٧ م وأن كثيرا من الشباب والشابات الذين تم اللقاء بهم أجمعوا على أن أزمة المساكن جعلت كثيرا من الأسر



القادرة ماديا تعمل على تخصيص وحدة سكنية لبناتها أو أولادها ، بينما الفقراء وهم الغالبية العظمى وقف العامل الاقتصادى عائقا أمام الحصول على شقة ، وقد أجمعوا أيضا على أنه لابد للدولة أن تتدخل لتوفير وحدات سكنية لمن عقدوا قرانهم حديثا بمبلغ لا يزيد عن عشرة الآف جنيه، كما أنه نتج عن عدم وجود المساكن صراعات نفسية لهؤلاء المتزوجين مع إيقاف التنفيذ لأنهم أزواج أمام الشرع والقانون، ومجرد مخطوبين أمام المجتمع ، الأمر الذى أدى إلى اضطرابات نفسية عسيرة ، من كثرة المشاكل والضغوط النفسية ، والأمر فى النهاية يئول إلى فسخ هذا العقد وتحمل الفتاة لقب مطلقة؛ لذلك ينادى الكثير بعدم التسرع فى عقد القران حتى يحصل الخاطب على شقة ويعللون ذلك بحماية الفتاة من دخولها فى دوامة المشاكل (ومنها لفظ مطلقة) والذى يؤثر على زواجها مستقبلا.

وإذا كان هناك بعض الأسر تطالب الزوج بالعفش أولا قبل الحصول على الشقة فهى تفاجأ بأن الخاطب ليس فى مقدوره إلا الحصول على شقة من غرفتين بينما أسرة المخطوبة تصر على شقة من أربع حجرات بخلاف الصالة التى لابد أن تكون ١٠ م ×١٥ مترا، وهنا تقف تلك الطلبات عائقا أمام قدرة الزوج المادية ويبدأ فى الهروب والزوغان، والخاسر هنا ، الفتاة.. التى تنتهى قصتها بفسخ الخطبة وهروب العريس، إذن ... وحتى لا يكون هناك زواج مع وقف التنفيذ فلابد من الاتفاق أولا على كل شيء قبل إعلان الخطبة ، وحتى لا نزج بالفتاة فى دوامة المشاكل التى هى فى غنى عنها.. إن هذه الظروف أفرزت أزمة اجتماعية خطيرة هى (العنوسة) بين الجنسين وتأخر سن الزواج،وبعد أن كنا نسمع من الذين يغنون (خطابك كتير وقالوا لى هنجيب الدهب واللولى) أصبح يعبر عن الماضى لا عن الحاضر ،قد أفرز ذلك أكثر من ٢٥ ٪ من الشباب فى الوقت الحاضر يعانون (العنوسة) وقد أثبتت الإحصائيات أن أكثر من مليون ونصف من الشباب عقدوا قرانهم لكنه حبر على ورق، حيث وقفت الإمكانات المادية حائلا دون التنفيذ.



وهناك بعض الأسر إذا وجدت الشقة فإنهم يبدأون فى طلبات غير معقولة حيث يطلبون العديد من الأجهزة الكهربائية علاوة على تجهيز الشقة بلون معين. الأمر الذى يرهق الشاب ويحرق أعصابه، ويجعله يعيش فى أزمة نفسية، ويقول مثل هذا الشاب ماذا أصنع فى عقلية أهل مخطوبتى، فكلما حققت طلبا جاءوا بطلبات. . لهذا نحن نقول للطرفين : اعلموا أن المهر والعفش لو كان من أسباب السعادة لفعلهما النبى ﷺ، ولكن أجمع العلماء على أن البركة بين العروسين والسعادة فى يسير المئونة التى يصورها لنا رسول الله ﷺ بقوله : «**لو أن رجلا أعطى امرأة صداقا ملء يديه طعاما كانت حلالا له**» رواه الإمام أحمد وأبو داود . . . وفى رواية لابى داود أيضا أن النبى ﷺ قال : «**خير الصداق أيسره**»، وتعالوا بنا نقرأ القصة التالية التى رواها أبو نعيم فى الحلية قال : (خطب أبو طلحة أم سليم قبل أن يسلم فقالت له : إن مثلك لا يرد ولكنك رجل كافر، وأنا امرأة مسلمة لا يحل لى أن أتزوجك ، فقال لها : ما دهاكى يا رميصاء؟)قالت: وماذا دهانى؟ قال : أين أنت من الصفراء والبيضاء ؟ يقصد بذلك الذهب والفضة؛ لأنه كان من أغنى الأغنياء، قالت : لا أريد صفراء ولا بيضاء فأنت امرؤ تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا أما تستحى أن تعبد خشبة؟ ألست تعلم أن إلهك الذى تعبده نبت من الأرض ؟ إن أنت أسلمت فذلك مهرى لا أريد من الصداق غيره ، قال: ومن لى بالإسلام يا رميصاء؟ قالت: لك بذلك رسول الله ﷺ ، فاذهب إليه، فانطلق أبو طلحة يريد الرسول ﷺ ، وكان جالسا مع أصحابه ، فلما رآه النبى ﷺ قال: «**جاءكم أبو طلحة وعزة الإسلام بين عينيه**» وأسلم أبو طلحة أمام النبى ﷺ وأخبره بما قالت الرّميصاء فزوجه النبى ﷺ على ما شرطت).

يقول أنس بن مالك : فما بلغنا أن مهرا كان أعظم منه وأنها رضيت بالإسلام مهرا، وهو نموذج ثرى بما فيه من المعانى القيمة التى تغنى عن كل تعليق، ثم يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : «**لا تغالوا فى صدقات النساء فإنه لو كان تقوى من الله أو مكرمة فى الدنيا لكان نبيكم ﷺ أولاكم بذلك**» .

ثم ما يكاد يفرغ الزوج من ذلك - أى من وجود الشقة والمهر - إلا ويفاجأ بأنه مطلوب منه أن يوقع على قائمة الجهاز، وأنه أمين عليها ، وضامن لما تلف منها، وهذه القائمة من مستحدثات العصر، وهى تنطوى على الشك والخوف على ابنتهم



ويريدون أن يضمنوا لها أكبر قدر من العفش إذا عصفت بها الرياح. . وهناك تحايل من الزوج هو الآخر يطالب عدم ذكر الصداق كاملا فى الوثيقة ويحاول تقليل مؤخر الصداق ، ويماطل فى التوقيع على قائمة الجهاز . . وتحت الضغوط النفسية يرضخ الزوج فى النهاية للتوقيع على قائمة العفش، ويرضح لمؤخر الصداق ويوقع ليظهر حسن النية لأنه فى حالة إنشاء أسرة يبغى من ورائها حياة سعيدة. .

ثم إن هناك بعض الأسر من باب التظاهر والتفاخر أمام الناس يتفقون مع العريس على أمرين : أمر يتم فى السر وأمر فى العلانية ففى السر يتفقون على ألف وفى العلانية على خمسة آلاف ويقولون له نحن سندفع ما يأخذه المأذون. . . الإمام الشافعى هنا يقول بأن للزوجة مهر العلانية. أما الجمهور فقالوا: مهر السر.

لقد قلت مرارا فيما سبق بأن الزوجة لها كرامتها فلا تشترى بالمال ولا بالشقة وإنما المهر هدية واجبة من الزوج لزوجته وهو يعبر من جانب الرجل عن طلبه ورغبته فى الزواج، وقد راعى الإسلام أن الزواج قدر مشترك بين الرجل والمرأة، لذلك يحافظ على حياء المرأة وكرامتها وتوفير الإحساس لديها بأنها مطلوبة وليست طالبة، إذ طبيعة المرأة أن تتمنع وهى راغبة وتتأخر إلى الوراء وهى تريد أن تتقدم . . فالمهر إذن من الحقوق التى أوجبها الإسلام للمرأة ليكون توثيقا للعلاقة بينهما، والمهر خاص بالمرأة فليس لأحد من أقربائها حتى ولو كان الوالد أن يأخذ منه أى شيء.

إننا إذ نضع هذه المعلومات بين يدى القارئ لنبين أن شرع الله سهل ونريد أن نتخفف من الأعباء لنعالج مشكلة العنوسة ، ونقرأ فى القرآن الكريم ما حكاه ربنا عن سيدنا موسى عليه السلام وهو فى استضافة الرجل الصالح الذى عرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه قائلا له كما حكى القرآن : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القصص] .

بمثل هذا التدين الصحيح وهذه البساطة والتيسير فى بناء عش الزوجية السعيد كان المجتمع الإسلامى يبنى بيوته على هذه البساطة ، ويقيم كيانه الأسرى على رفع

الحرج ، وعلينا نحن أن نقتدى بهم لنحل مشاكلنا ونعيش فى دنيانا سعداء ، كما عاش الذين من قبلنا، ثم إننا لا نريد زواجا على الورق ، ولا موقوفا حتى نحصل على الشقة . . وخوفا من تأزم المواقف وحدوث مالا تحمد عقباه علينا أن ننبه العريس أن عليه أن يعد نفسه على حسب الإمكانات المادية حفاظا على بنات الناس وسمعتهن وحتى لا يقال زواج مع وقف التنفيذ.

البطالة المقنعة

إذا كانت أول مشكلة تقابلنا فى ظاهرة «العوانس» هى المشكلة الاقتصادية من مهر وشبكة وشقة وخلافه، فإن هناك مشكلة أخرى هى التدنى فى الأجور والمرتبات التى لا تسمح للشاب أبدا أن يفتح بيتا ويتحمل الإنفاق على هذا البيت، ثم إن بعض الأسر تحرص على تعليم أبنائها تعليما جامعيا ، وهذا التعليم الجامعى يجعل سن الفتاة يتأخر فتكون البنت قد نضجت ولديها الكثير من المفاهيم والمطالب . . الأمر الذى يرهق الزوج ويجعل مرتبه لا يكفى، هذا جانب ، وهناك جانب آخر وهو أن الذين تخرجوا ولم يجدوا فرصة عمل وأصبح سنهم يقترب من الخامسة والثلاثين فإن سألتهم عن عدم الزواج يقولون ومن أين النفقة . . لهذا كانت البطالة من أكبر العوامل التى ساعدت على انتشار العنوسة .ولقد دعا الإسلام إلى العمل ونبه إلى تعليم حرفة حتى قال أحد الظرفاء : (صنعة فى اليد خير من شهادة على الحائط). ووجه الرسول ﷺ دعوته إلى الشباب أن يعمل حتى ولو فى جمع الحطب وبيعه، وإذا كان جمع الحطب الآن ليس وسيلة للتكسب فهو نموذج نقوله للتقريب، فإن الشباب مطلوب منه أن يعمل ليفتح بيتا وحتى لا تكون هناك بطالة لأن الفراغ وعدم العمل مفسدة للإنسان.

لقد نتج من وراء هذه البطالة إلى تواجد قنبلة تهدد بالانفجار فى وجه المجتمع لأننا سمعنا فى الآونة الأخيرة عن خطف سلاسل ذهبية من صدور النساء ، بل الشنطة من أيديهن أحيانا. ثم سمعنا عن الاعتداءات الجنسية على الأطفال ، وتعدى ذلك إلى خطف الإناث والاعتداء عليهن، وهذه هى القنبلة التى تشحن يوما بعد يوم بهذه الجرائم سوف تدمر يوما المجتمع إن لم نتدارك ذلك بوضع الحلول لهذه المشاكل. . ولاشك أننا نلحظ أن الذين يقومون بمثل هذه الجرائم يكتب قرين كل واحد منهم فى الصحف (عاطل) إذن، البطالة أمر خطير، وكنا نتمنى أن تكون الدراسة فى الجامعات ملائمة للبيئة وما فيها من صناعة أو زراعة أو تجارة لتكون الجامعات عامل تهذيب



وتوجيه وتثقيف مهنى ليتخرج الشباب منها فيجدون العمل ثم الزواج وتأثيث البيت، حيث أهلتهم الجامعة للعمل الميدانى.

ولأمر ما كثر فسخ الزواج بعد أيام حيث تبينت الفتاة أن زوجها عاطل ، لذلك كانت تصرخ وهى فى ثوب الزفاف وتقول : ارحمونى لا أريد الزواج حيث تبين لها أنه لا دخل للزوج ، وأنه يعيش من معاش أبيه الذى تأخذه أمه، وأنه لا يستطيع أبدا أن يفى بمطالب الزواج، وكم سمعنا عن حالات انتحار بسبب هذا الزواج الفاشل الذى كان بين عاطل وفتاة كريمة من أسرة عظيمة أوقعها حظها العاثر بين يدى هذا الرجل الذى لم تأخذه النخوة ولم يكن شهما عندما قدم نفسه لأهل الزوجة ودلس عليهم وخدعهم بمظهره وكلامه.

الزواج من الأجنبيات

من الأمور التى أفرزها المجتمع المعاصر (البطالة) رغم الحصول على أعلى الشهادات. . الأمر الذى دفع بكثيرمن الشباب إلى الهجرة خارج البلاد بحثا وراء العمل وسعيا وراء التكسب، وعندما يذهب هؤلاء الشباب إلى الخارج وهم فى حاجة إلى تأشيرة إقامة فيصعب الحصول عليها إلا إذا تزوج من أهل تلك الدولة التى يريد الإقامة بها، ويقدم الإنسان على التزوج من البلدة التى يقيم فيها، وقد يكون ذلك فى بلد أجنبى (أمريكى أو أوربى أو غير ذلك) وعندما يتزوج الإنسان فهو يتزوج بامرأة غريبة عنه لا تعرف قيم مجتمعه ولا عادات قومه، وبالتالى هو كذلك، وتكون المشكلة إذن فيما يأتى :

١ - **الأولاد** . . فالأسرة تلعب دورا خطيرا فى تعليم الأولاد والأم هى المدرسة الأولى؛ لأنها ترضعهم مع لبنها خصائصها الخلقية وثقافتها وعقليتها حيث تناغيهم وتناجيهم وترقصهم، وتأخذهم فى أحضانها، وتسهر عليهم، وهذه الأم لأنها تجهل اللغة العربية وتجهل شعائر الدين حيث يقول لنا نبينا ﷺ : **«افتحوا على أولادكم بأول كلمة لا إله إلا الله»**.

ولما كانت هى لاتفهم من ذلك أى شيء فهى تنشئ أولادها على دينها وعادات قومها وتنمى فيهم الولاء لوطنها. . لذلك يكون هذا الزواج هو عملية انسلاخ هذا الإنسان من دينه وقوميته، وبالتالى يصاب هو بالتدنى الثقافى كما يفقد ولاءه لدينه

ووطنه . وما دام هو وغيـره قد تزوج من أجنبية فلابد أن هناك العـديد من بنات قومه وبلده سيتأخرن عن الزواج ويكثر عدد العانسات .

لذلك نحن نهـيب بكل مواطن يسـافر إلى الخارج ونهمـس فى أذنه : احذر أن ترتمى فى أحضان الأجـنبيات فإن لك دينك وخلقك وعادات قـومك وهنا بنات العم، وبنات الخـال، وبنات الجيران، وبنـات قومك، فلا تجعـل لهن الكساد وللأجنـبيات الرواج فإن الشاعر قديما قال :

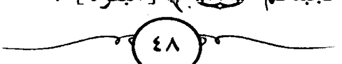
بـلادى وإن جـارت عـلـىَّ عـزيـزة وأهـلـى وإن ضـنُّـو عـلـىَّ كــرام

ولكى ينشأ أولادك نشأة صحيحة تسعد بهم فى الدنيا والآخرة فلا تقترن إلا بمن تعرف دينك وتعرف أخلاق قومك .

إن الخطر الاجتماعى من وراء تزوج الأجنبيات خطر رهيب مخيف ونحن ننصح ونوجه؛ لأن أعداء الإسلام قالوا ، ومنهم القس زويمر الذى قال فى مؤتمر للمبشرين : «إنكم عـليكم أن تعـدوا نشئـا فى ديار المسـلمين لا يـعرف الصلة بـالله ولا يريد أن يعرفـها، جيل يـحب الراحة ولا يهـتم بالعظائم ، ولا يـصرف همه فى دنـياه إلا إلى الشهوات، وجـمع المال، ثم زجوا بهم فى أسمـى المراكز فسيحـطمون كل شىء فى سبيل شهواتهم وجمع المال» .

إن التربية المنحرفة لأبناء المسلمين مـن غير المسلمات تكون عاملا من العوامل المؤثرة علـى الكيان الإسلامى ، ومن المعـلوم أن الزواج وسيلة للتطهـر والإحصان . والإسلام يرفع الـعلاقة الزوجيـة إلى مستوى القـداسة المتصـلة بالله ويجعلهـا وسيلة للتطهر الروحى ولنـظافة الشعور به، لذلك ينظم الإسلام تلك الـعلاقة على أساس من المشاعر الإنسـانية الراقية التى تجعل من التـقاء جسدى الزوجين التقاء نفـسين وقلبين وروحين التـقاء إنسانين تـربط بينهمـا حياة مشتـركة وآمال مشـتركة، وآلام مشـتركة، ومستقبـل مشترك، يلتقى فى الذرية المـرتقبة ويتقابل فى الجيل الـجديد الذى نشأ فى العش المشترك لتـمد حياتهما إلى أهداف بعيدة . ومن وراء ذلك إعـداد الطفل لحماية نفسه وحـفظ حياته، وتربيتـه وتزويده برصيد من المعـرفة عن آباء قومه وعشـيرته ثم تتأصل فى نفسه القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية .

إن المرأة المسلمة هى أصبر الناس معك، وقد قال الله فى بيان ذلك : ﴿ **وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ** ﴿٢٢١﴾ ﴾ [البقرة] .



وخذ مثلا : امرأة نوح عليه السلام وامرأة لوط عـليه السلام كانتا تحت عبدين صالحين ونبيين كريمين ورسولين عظيمين، ومع ذلك كانت الخيانة فى طبع المرأتين.

لذلك ضرب الله بهما مثلا لكل من تسول له نـفسه أن يختار المرأة الجميلة فى المنبت السوء والـتى ليست من بنى قومه فـهى مصيبة من المصـائب لا ترعى ذمة ولا تصون عِشرة . من هنا نقول لك عُدْ إلى أهـلك ولا تتزوج زواج المصلحة الذى ينبنى على الحسابـات المادية ، فإنك إن حققت ربحـا فستخسر أولادك، ولن تجـنى الثمرة التى ترجوهـا. . ولقد أكدت إحصائيـة بين بنات الصعـيد تفسر سبب وجـود العوانس هناك وانتهت الدراسة إلى أن المرأة هناك كانـت تتزوج وسنها (١٤ عاما) أما الآن فقد بلغ سن الفتاة أكثر من ٣٥ سنة دون زواج، وتعـلل المرأة هناك بأن الشباب هاجر إلى الخارج وبدأ يتزوج هناك ونـسى بنت القرية؛ لأن المهر هنا غال والحـصول على شقة صعب.

أما فى الـخارج فإن الزواج سـهل لأن الأجانب أخـذوا مفهـوم ديننا فى اليـسر والتيسير، ونقلوا إلينا المغالاة التى جعلت العريس يهرب من هنا ويطير إلى هناك.

إن بعض الـذين يسـافرون إلى الـخارج يتـخذون مـن أحد المـواطنيـن كفـيلا لهم،وفجأة يتخلـى الكفيل عنه ويتعرض مصيره للـخطر، وهو قد تزوج هناك وأنجب وأصبح فى كفالة زوجته، ولكن الكفيل يوعـز إلى الشركة أو المؤسسة التى يعمل بها الاستغناء ،عنه وهنا يريد أن يعود إلى وطنه والزوجة لا ترغب فى مرافقة زوجها؛ لأن الصورة مخـيفة بالنسبة لهـا ،وعندئذ تحدث خلخلة اجـتماعية فى الأسرة، وقـد يفقد الأطفال أحد الوالدين حـسب الأنظمة المعمول بها فى الدولة الـتى تزوج منها !؛لهذا ننصح ونقول: لا يكون أحـدكم سببا فى انتشار العنوسة فـى البلد الأصلى الذى هاجر منه، وحـتى لا يصاب أحـدكم بالصدمـة النفسـية فعودوا إلـى بلادكم وتزوجوا مـنها واعلموا أن دينكم يسر لا عسر، وعلينا أن نواجه المشكلة ونناقشها بصراحة حتى نصل إلى حل يريحنا جميـعا ويكون من وراء ذلك إنشاء أسرة قوية متمـاسكة قوامها الدين والأخلاق واليسر والمعاونة.



المرأة فى سوق العمل

منح الإسلام الحرية للمرأة أن تعمل ،ولكنه وضع لها ضوابط لتحميها وتصونها وحتى لا يعبث بها الرجال،ولكنه نبه على أن أفضل ميدان عمل للمرأة هو المنزل الذى تربى فيه الأجيال ، وتهدهد فيه النشء وأخبر أن المرأة خُلقت وميدان عملها رعاية المنزل والزوج وتهيئة عش الزوجية له. . والرجل عليه أن ينطلق فى الحياة يعمل بهمة ونشاط وكفاءة واقتدار، ثم يعود إلى المنزل فيجده مهيئا ، يجد فيه راحة نفسه، وهدوء سره، ومع ذلك فإن أولاده يجدون العناية من أم أحن عليهم من أى شىء تقوم على رعايتهم وتنمى فيهم الخلق الكريم، وتعلمهم المروءة والشجاعة والقراءة والكتابة؛ لأن الأم هى المدرسة الأولى، وهى الأستاذة والرائدة، وهى الملكة غير المتوجة فى البيت، ولكنه عندما حدث تصدع فى القيم الأخلاقية وتفشت الأمية الدينية فى العالم الإسلامى، بدأ التطاول على دين الله باسم المدنية ورمى الاحتلال شباكه حول المرأة وأغلق عليها الباب أولا وأوصد النوافذ ليستطيع بعد ذلك أن يخرجها من ذلك إلى المجتمع ،ويرمى بها فى نار تحرق كيانها وتمزق نفسها، واستجابت المرأة لنداء الاستعمار الخبيث لأن المدنية الحديثة (كما يسمونها) أرادت للمرأة أن تكون مخمورة ليل، مسفوكة عرض، فاستأجروها للخمارات ليربحوا من ورائها المال الوفير، ثم قدموها للرجال فى ساحات واسعة ليعرضوا جسمها أمام الرجال لاختيار ملكات جمال العالم، وملكات جمال السيقان ومرة أخرى عرض أزياء، ثم أقاموا شركات التأمين ليؤمنوا على عيون الكواكب، وسيقان الملكات ، وبين لحن النغم ونشوة الإعجاب دخلوا بها إلى حانة الخنى، ومع أضواء النور الأحمر والأصفر والبهرجة يعلنون عن ذبح الفريسة وتخرج المسكينة من بين يدى الجزار الآثم فتجد صحافة العصر تمسك بزجاجات البرفان فتقدمها إليها مع كلمات المدح والثناء، وبين هذه النشوة قالوا لها : علام الحجاب وأنت والرجل سواء فتركته وقصرت ملابسها ثم قالوا : هيا إلى الحلاق فلما لم يجد لها لحية ولا شاربا خرجت من عنده مدهونة مصقولة تعتدى على عفة الشباب ثم دفعوا بها إلى سوق العمل فأصبحت مدرسة لكن ألوان الطيف على خدودها وتسريحة الشعر تجعل رأسها كأسنمة البخت ، ثم وضعت المنيكير على أصابعها، ولهذا ضحك عليها الشباب وهى تكتب على السبورة ، وفى المنزل لا تستطيع أن تقوم بعمل البيت لأن معها كراريس تحتاج إلى تصحيح وتحضير للمادة التى ستقدمها فى الغد. . ففقد البيت مصداقيته، وأصبح الرجل لا يجد مطعمه ولا مشربه معدا، ثم



فقد الأولاد الرعاية؛ لأن الأم مشغولة فهى موظفة فى شركة أو فى مجلس إدارة وتريد أن تحضر نقاط المناقشة التى سيقوم مجلس الإدارة بمناقشتها ، ثم هى مشغولة بأحدث موضة، لذلك تذهب إلى الخياطة تجلس عندها بالساعات لتختار آخر موضة وتذهب بعد ذلك إلى طبيب الأسنان الذى يجمل لها أسنانها وتحاول تجميل الفم وتنظيفه فتجلس عنده كذلك بالساعات . والذين ضاعوا فى زحمة ذلك كله هم الأولاد؛ لأن الأب الذى شعر بغياب الزوجة خرج هو الآخر إلى المقهى، ولكى يظهر للأصدقاء أنه غير مشدود الأعصاب انغمر فى لعب الطاولة ونسى البيت وما فيه ، وهنا تفلت الأولاد وذهبوا إلى الشارع . . ولعلكم ترون كذلك المرأة التى تعمل فى وزارة وتريد أن تصل إلى درجة مدير أو مدير عام أو أعلى ، لذلك فهى تقوم بعمل الواجب من إعداد الدوسيهات وقراءة ما فيها وجمع المعلومات، وتقديم ذلك إلى المدير الذى يثنى عليها ، وبالتالى فهى سعيدة لأنها حصلت على درجة الامتياز فى التقارير السرية وسوف تحصل على علاوة تشجيعية وغاب عن سمعها وبصرها الأولاد.

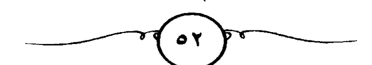
وبعد فترة نرى أنها نسيت حق زوجها فهرب منها إلى المقهى أو إلى السفر ونسيت الأولاد الذين تلقفهم الشارع فغيَّر أخلاقهم وغرس فيهم مفاهيم لا تليق أبدا أن تكون لأفراد ينتمون إلى أسرة لها كيانها ولها ولى أمر وهو الأب المفروض فيه أن يسوس ويرعى أمرها، ولكن عندما تفشى هذا الأمر وبدأت الشكوى تظهر من السيدات ظهرت موضة جديدة خلاصتها لماذا نتزوج ونجلب لأنفسنا وجع القلب؟ واستهوت المرأة الوظيفة فقررت عدم الارتباط بالزواج إلا إذا وصلت إلى مركز محدد تضعه أمام عينيها وتلهث لتصل إلى هذا المركز وتنسى فى غمرة هذا الجرى (الزواج) وتمضى الأيام وهنا نرى أن الشباب هو الآخر عنده طموح لأن ابنة الجيران تتمسك بوظيفتها. وأصبح الناس يذهبون إليها لقضاء مصالحهم وهو ليس بأقل كفاءة منها. وعلى هذا فهو الآخر (يندمج) فى العمل، وفى كلا الأمرين هناك عنوسة تظهر وعزوبة تتفشى وفى خلال هذا الجو يكون هناك الاعتداء على الأعراض بل ويصل الأمر إلى الزنا بالمحارم كما نسمع فى هذه الأيام؛ لأن المرأة عندما احتلت الوظيفة أغلقت الباب فى وجه الرجل لأن المفروض أنه هو الذى يعمل وهى التى تهتم بالبيت، وأنا هنا لا أقلل من عمل المرأة ولا أغلق الباب أمامها وإنما أقول وأنقل الحقائق فقط لأن الشباب الذى لا يجد عملا عنده غريزة يريد أن يرويها ،وهو يفكر فى الإرواء الغريزى غير المشروع فمن أين ينفق على بيت ؟ هل يتزوج بالمرأة الموظفة لتعمل هى وتتكسب، وهو لا يجد ما



ينفقه على نفسه؟ فى نفس الوقت يجد من العقبات ما تقف فى طريق زواجه ويتلفت يمينا و شمالا فيجد ما يتطلبه من إشباع الشهوات الحيوانية وإرواء الغرائز الجسدية، ثم إنه ليس عنده وازع من دين أو رادع من ضمير فقد طرح وراءه كل ما يتطلبه الإنسان الشريف من مثل أعلى ، وهناك يكون الكساد فى الحياة الزوجية، وانحلال المجتمع واختلاط الأنساب!!

والمرأة فرحة بوظيفتها مسرورة بوضعها الاجتماعى غير عابئة بما يجرى حولها وما تسمع به من اعتداء الأخ على إخوته أو أمه أو زوجة أخيه أو أبيه، إلى غير ذلك مما تنشره وسائل الإعلام ، ولا تدرك المرأة مصيرها المؤلم إلا يوم أن تحال إلى المعاش، عندها تبكى ولا ينفع الندم ولا تروى الدموع الأرض المجدبة التى وقفت عليها ؛ ونسوق هنا قصة لامرأة نشرتها جريدة الأهرام المصرية يوم ٢٩ / ٥/ ٦٩ تحت عنوان «أستاذة جامعية تنصح طالباتها بالزواج» قالت الأهرام: «إن أستاذة جامعية فى إنجلترا وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبتها وطالباتها تلقى خطبة الوداع بمناسبة تقديم استقالتها من التدريس وقالت الأستاذة:

«ها أنا قد بلغت الستين من عمرى ووصلت فيها إلى أعلى المراكز. . . نجحت وتقدمت فى كل سنة من سنوات عمرى وحققت عملا كبيرا فى المجتمع ، كل دقيقة فى يومى كانت تأتى على بالربح. . حصلت على شهرة كبيرة ومال كثير، أتيحت لى الفرصة أن أزور العالم كله، ولكن !هل أنا سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟ لقد نسيت فى غمرة اشتغالى بالتعليم والتدريس والسفر والشهرة أن أفعل ما هو أهم من ذلك كله بالنسبة للمرأة . . نسيت أن أتزوج وأن أنجب أطفالا وأن أستقر. . إننى لم أتذكر إلا عندما جئت لأقدم استقالتى شعرت فى هذه اللحظة أننى لم أفعل شيئا فى حياتى، وأن كل الجهد الذى بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع. . سوف أستقيل ، ولن يمر عام أو اثنان على استقالتى حتى ينسانى الجميع فى غمرة شغلهم بالحياة . . ولكن لو كنت قد تزوجت وكونت أسرة كبيرة لتركت أثرا أكبر وأحسن فى الحياة . . إن وظيفة المرأة الوحيدة هى أن تتزوج وتكوّن أسرة، وأى مجهود تبذله غير ذلك لا قيمة له فى حياتها ، هى بالذات. . إننى أنصح كل طالبة تسمعنى أن تضع هذه المهام أولا فى تقديرها وبعدها تفكر فى العمل والشهرة».



نداء الفطرة

أقرأت هذه الكلمات التى قالتها هذه المرأة ورأيت داعى الطبيعة فيها ونداء الفطرة الذى جرى على لسانها؟ . أسمعت حديث المرأة المجربة التى نالت من العلم وكرست حياتها لنشره وكسبت المال ونالتْ ما نالت لكنها تعلن (وهى صادقة) أنها لم تنل شيئا فى حياتها قط . . لماذا ؟ لأنها نسيت رسالتها الحقيقية ووظيفتها الأصلية وأعلنت أنها فشلت فى حياتها عندما تخلت عن الزواج .

المرأة والعلم

لا يفهم أحد من الناس أن الإسلام يحرم المرأة من العلم . . لأنه ليس هناك دين سماوى ولا مذهب اجتماعى إصلاحى أعطى المرأة حريتها ودفع بها إلى ميدان العلم كما فعل الإسلام؛ لأن المرأة فى الإسلام مخاطبة كالرجل تماما بشريعة الله مسئولة عن أعمالها لا يسقط عنها إلا ما تستوجبه طبيعة الخلقة ويقتضيه داعى الفطرة . يقول ربنا فى بيان هذا : ﴿ **إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا** ﴿٣٥﴾ ﴾ [**الأحزاب**] .



إن للحياة فى الإسلام قانونا مواده كلها عنده فى كلمتين . . هما الحق . . . والعدل . والمقصود من هاتين الكلمتين تكريم للفرد وللمجتمع جميعا والمجتمع . ناشئ من الاجتماع والتجمع والتجميع بين الأفراد فلا يساء إلى فرد باسم الصالح العام، لأن أى إساءة إلى أى فرد إنما هى إساءة للمجتمع . إن أهملت شأن أى فرد فيه فقد ذهبت بهيبة المجتمع كله، لهذا فإن المرأة ما عرفت نعمة الحرية الصادقة والكرامة البارة وما عرفت معنى لإنسانيتها إلا يوم أن أشرقت على الدنيا شمس الإسلام . . ففى أول مرة فى تاريخ الإنسانية يتردد وحى كريم يتلوه خاتم المرسلين على سمع الزمان وفيه يجعل المرأة فى المكانة الإنسانية الفاضلة ويتيح لها الحرية أن تفعل أى شىء لكن مع الحفاظ على كرامتها وصيانة حقوق الآخرين . . وقد أعطى الإسلام المرأة هذا الحق ووضع لها من أساليب التربية النبيلة والتى مدارها على الأخلاق، وبها تزن المرأة الأمور بميزان العدل وعين الصدق، ودقة الأمانة فى حدود الكرامة والمصلحة

والاعتدال . . لذلك على المرأة أن تعلم أن مكانتها الصادقة ومجدها المتألق وحريتها المصونة فيما جاء به كتاب ربنا وأعلنه نبينا ، ونادى به على الإنسانية كلها (بأن النساء شقائق الرجال) لذلك نرى أن على يد المرأة الطاهرة قد ربى موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، والرجال الذين أنجبتهم أمهات الإسلام بالأمس وقمن على تربيتهم وغرس القيم النبيلة فى نفوسهم هم غرة جبين الدهر ووسام الشرف فى التاريخ الإنسانى، فلقد أودع الله المرأة آمال الأمة فيمن تنجبهم من الأبناء الذين أصبحوا بين يديها أمانة الله الغالية؛ لذلك نبه إلى غرس الآداب والفضائل فى نفسها وأن تعلم أن رسالتها السامية ومملكتها الصغيرة هى البيت، ولتعلم أن هذا الميدان وحده هو الذى يجعلها مساوية للرجل فى الإنسانية عندما تتحمل مسئولية البيت بدقة ومهارة واقتدار وتؤدى رسالتها وهى سعيدة وراضية .

إن ما تدعيه المرأة من أنها تتحمل كل ما يتحمله الرجل من أعباء الوظيفة أمر يكذبه الواقع وتنكره الطبيعة؛ لأن الإسلام - بلا شك - يمنع المرأة أن تكون سكرتيرة خاصة يغلق الباب عليها وعلى رئيسها بحجة كتابة المذكرات وإعداد المذكرات وغير ذلك.

فالإسلام نبه على أنه **«ما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما»** . كما نبه بعدم سفرها وحدها ؛لأنه يؤمنها فى رحلتها ويبعد عنها تلصص المتلصصين وتطفل المتطفلين ، لأننا ندرك أنه كم من الحماقات ترتكب باسم حرية المرأة، وكم من فجور يقع باسم الغيرة عليها والمحافظة على حريتها. ومن هنا فإن الإمام البخارى يروى حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه: **«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى رحم»**. ويقول فى حديث آخر بنفس رواية البخارى: **«لا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم»** ويمكنك فى ضوء الواقع ونزاهة الرأى أن توقن أن هذا التشريع الحكيم هو للحفاظ على المرأة لأن الذين قالوا لها : لك الحرية فافعلى ما شئت . . نقول لها: لا . . لأن الحرية التى يكون معها إهدار الحق والكرامة للفرد والناس ليست بحرية وإنما هى انفلات أعمى فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج بينهما هم وكرب وغم عظيم.

إن المرأة عندما انطلقت إلى العمل ونسيت أن تتزوج فهى هنا كانت السبب المباشر فى إيجاد نوع من كساد المرأة وعدم الإقبال عليها لأنها لا تصلح لبيت ولا تنهض بتربية أولاد، وعندما قصّرت ملابسها وكشفت عن ساقيها، ووضعت المساحيق على وجهها، ولبست الحذاء ذى الكعب العالى، وطلت أصابعها، وأصبحت لا تجيد

طهيا لـلطعام ولا غسيل ملابـسها ولفظها الرجـل خرجت إلى الشارع تسمع فـيه ما لا تسمعه من زوجها (والغانيات يعجـبهن الثناء) بل إنه فى أيامنا هذه أصبحت المرأة هى التى تعاكس الرجل، وتحـاول لفت النظر إليها ،وتعلن بكل وقـاحة بأن أصدقاءها فى النادى ينتظرونها ،وهنا أستعير كلمـة لمصطفى صادق الرافعى الأديب العظيم قال: «لو كنت قاضـيا ورفع إلى شاب تجرأ على امـرأة فاحتك بها أو طاردها وتـحقق عندى أن المرأة كـانت مدهونة مـصقولة مـتعطرة مـتبرجة لـعاقبت هذه الـمرأة عقوبـتين . . . إحداهما . . . . بأنها اعتدت على عفة الشاب . . . والأخرى بأنها خرقاء كشفت اللحم للهر . . ا هـ».

إن الأخلاق تصان فى مناخ اجتماعى يسوده الطهر والعفة. أما ما أفاضت به الحضارة الحديثة فإنـنا نقول للمرأة إن المناخ الاجتمـاعى هنا غير المناخ الاجتمـاعى فى فرنسا مثلا أو الصين أو أمـريكا . . فنحن هنا فى الشرق لنا دين له قـيم وعادات ورثناها عن أجدادنا فـلا يليق بنا أبدا أن نـتنكر لقيم ديـننا، وخاصة أنـه هو الذى كرم المرأة فـقد أنقذها من الوأد صغيـرة وأنقذها من الحرق عندما يتوفى عنهـا زوجها عند آخرين، ثم إنها كانت تورث كالمتاع عند آخرين ، وكان البعض يبـيعها إذا ثقلت نفقتها على أبيها أو زوجها . وشهـد القرن الماضى - القرن الـتاسع عشر- أن امرأة بيـعت (بشلن) فى إنجلترا . . ألم يكن هذا هـو وضع المرأة فى المجتمع ؟ فمن ذا الذى مـنحها الكرامة الإنسانية؟، ومن ذا الذى صانها من العـبث، وحافظ عليها لتكون أمًّـا طاهرة وزوجـة فاضلة، عفـيفة، وبنتا صالحة، إنـه الإسلام الذى كرم المرأة وصانها مـن العبث ونبه على الزواج ورغب فيه. وأخبرنا أن عدم الـزواج هو أول خطوة من أسباب الفساد ومع أنه نبه على الزواج فإن للمرأة حقا أن تتـاجر وأن تربح وتملك وتبيع وترهن وتتصدق؛ لأن الإسلام يريد منها أن تكـون بناءة عاملة فى المجتمع، لكن مـع التمسك بالأخلاق الفاضلة والمـثل الكريمة ،وينبههـا أن لا تعود إلى المذلة وأن لا تساق للعـبودية باسم الحرية ،ولا تكون نهبا لكل طامع حتى ولو بالـنظرة والعبث بها، وحتى لا تعصف بها ريح الإثم وتقتلها سموم الرذيلة.

ولتعلم المرأة أن ما خوطبت به من تحقيق لكرامتها الإنسانية مع الوفاء بوظيفتها الاجتمـاعية فإن ذلك يستـوجب منها أن تضع للأمـور ضوابط تحقق الغـرض المنشود للحيـاة الاجتماعيـة السليمة ولا تـذهب بالأمر فى غيـر وجهه، وأن تعلم أن ميـدانها



الأصيل هو: (أمومة الأسرة) وهو ميدان شرف وكـرامة . . ميدان عمل وجهاد . . ميدان يتطلب العلم الوافر والمـعرفة الأصيلة إذ فيه يتم بناء النفوس وإعـدادها إعدادا تتشعب معه فنون المعرفـة وتتوافر عليه مناهج العلم، ثم إن ما يتصل بشـئون الملبس من ستر الأبدان وغطاء الرأس والصـدر إنما يريد به الإسلام صيانة الـمرأة وتحقيق كرامتـها فما خوطبت به المرأة خوطب به الـرجل فقد قال الله تعالى: ﴿ **قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور].

ثـــم يقــول سـبحـانه: ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...** ﴿٣١﴾ ﴾ [النور].

كما أن مـا خوطبت به المرأة فى أى زمـان خوطبت به نساء الـنبى ﷺ وبناته، وليس هذا ضربا من التحكم وإنما هو الصيانة والعفة، يقول سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأحزاب].

إن القيد الذى توهمته المرأة أسرا لها إنما هو فـى الحقيقة صيانة لها من العيون المتطلعة وسدا لأبواب الشر، وكم سمعنا وقرأنا أن الشاب الذى يمشى مع فتاة متبرجة مسـتهترة عنـدما يرغب فى الزواج يرفـض أن يتزوجها، وإنـما يعلن عن أنهـا بنت لا تصلح لبيت ولا تصون زوجا . . فكأنها باستهتـارها وتقصير ملابسها ووضع المساحيق على وجهها زجت بنفسها فى سوق العوانس.

إن الإسلام لا يحرم العمل على المرأة، ولا يغلق أمامها باب طلب العلم وإنما يقول لهـا تعلمى أولا كيف تعـدى بيت الزوجية؟ كيف تـقومين بإعداد الطـعام؟ كيف تقومـين بغسل الملابس وكـيها . .؟ وترتيب الدولاب وفـرش السرير وتنظيف الـثلاجة وتنسيـق الزهور فى أرجاء المنزل . .؟ وكـيف تخططين لاقتـصاد الأسرة لتتـعايش مع المرتبة الذى يحصل عليه الرجل . وهذه دراسة نسـميها ونضعها تحت عنوان: إعداد الفتاة لتربيـة الرجال؛ لأنه قديما قالوا: وراء كل عظيم امرأة. فـيا بنت اليوم . . اعلمى أن كلمة (عانس) كلمة ثقيلة علـى الأذن فلا تكونى من أسباب رواج هذه الكلمة؛ لأن الدنيا اليوم فى حاجة ملحة لأن تنعم بـأمن الإسلام وإيمانه وأن تسعد بنوره ويقينه . . وأنت المدرسة الأولى للمولود الذى تحملينه فى بطنك جنينا تسعة أشهر وتضعينه جنينا فى حاجة إلى رعـايتك، ومن غيرك يتعهـد هذا النبت وأنت تربته النقيـة؟ ومن غيرك



يرعاه؟ وأنت قبلته الطاهرة، فكونى أما مسلمة فى طهرها الأصيل وعفتها المصونة لترى الدنيا من أبنائك ما رأت بالأمس من يصون الحق ويحفظ قداسة العدل ويرفع لواء الحرية. أنت راعية ومسئولة عن رعيتك لأن من سمائك أشرقت شمس المعرفة، فتسلحى بالمعرفة الصادقة والأخلاق الكريمة واليقين المستنير، وثقى تمام الثقة أن الإسلام لا يرضى لك أن تعيشى فى حرية مضيعة مهدرة للكرامة أو مساواة بالرجال مكذوبة فيها إهدار للشرف واعتداء على العفة.. وإنما الإسلام ينشد لك حرية الأحرار ومساواة الفطرة السليمة، فأنت قوام الأسرة ومنك وبك تمتد.. والأسرة لا تصان إلا برعايتك ولا تسعد إلا بك..

فهل لنا أن نعلم أن الإسلام عندما رغبنا فى العمل نبهنا إلى أن أفضل عمل المرأة وأعظم ميدان لها هو المنزل الذى نعده لتسعد فيه وتسعد زوجها وأولادها بين جدرانه وإن خرجت للعمل فيكون التوازن بين العمل والبيت ورعاية الأولاد.

ظل رجل

مثل ردده الأجداد من قديم الزمان قالوا فيه: (ظل رجل ولا ظل حائط) ومنذ أيام طالعتنا وسائل الإعلام أن أستاذة جامعية فى الثلاثين من عمرها انتحرت بسبب اعتقادها أن قطار الزواج فاتها، ولقد تساءل الكثير هل بعد أن وصلت المرأة إلى هذا المستوى من العلم واحتلت أكبر المواقع تتمسك بمفهوم هذا المثل: نعم !! ذلك أن البنت مهما أحرزت من نجاح وتقدم فإن أهلها دائما يتمنون لها (العَدَلْ) لأن المجتمع دائما ينظر بفارغ الصبر إلى الفتاة وهى تزف إلى عريسها؛ لأن هذا هو الوضع اللائق بها، ولكن هناك من تفكر فى عدم الزواج جريا وراء الشهرة، كما قلنا، أو للتمتع والسفر والترحال أو حب التجديد فى حياتها، أو لأنها تريد أن تنشئ علاقات وصداقات بينها وبين الكثير من زميلاتها، أو لأنها تحب التمثيل والعمل فى مجال الفن، ولا تريد أن يترهل جسمها من الحمل والرضاعة وتخشى أن تتعب من رعاية الأطفال وتبتعد عن عملها فهى تصرخ دائما وتقول (أرجوكم لا أريد الزواج) ولو جلس معها محلل نفسانى واستطلع رأى كل واحدة منهن لاكتشف أن الفتاة التى تكره الزواج وترفض الارتباط بالرجل فى نفس الوقت هى تقبله نظريا وتتصور نفسها فى ثوب الزفاف وأنها تتنزه مع عريسها.. تضحك سعيدة حيث يختبئ عريسها وراء الشجرة.. وتقطف هى الزهر.. تقدمه لزوجها.. لكن هذه أحلام وردية.. فهى



ترفض فكرة العلاقة الزوجية ،وهى تخشى الحـمل والولادة، وتعتبر نفسها إن ارتبطت برجل فليـلة الزفاف عندها تعنـى سجنها مدى الـحياة وانتهـاء عمرها وحفر قـبرها. . لماذا؟ لأنهـا فى زعمها إذا ارتبطـت برجل فقد فقـدت بريق الحياة وضاع كـبرياؤها، وتعيش فى حـزن دائم لأنها تتمـثل الحمل وقد تكورت بـطنها واتسع جسـدها، ثم ما تلاقيه من آلام عند الوضع فتشعر بالـخجل من منظرها والرهبة من ليلة الوضع . . ولو أن عالم النفس جلس مع الفتاة ورجع بها إلى الماضى قليلا وسألها عن أحب لعبة إليه لقالت (العروسة) فهى تفرح بها وتضمها إلى صـدرها وتناغيها وتحاول أن تطعمها مما تأكل. . إذن. . هناك إحساس من الفتاة وهى صغيرة بالميل إلى ما تتمناه وهى كبيرة. . ولو أن التحليل النفسى اسـتمر لرأينا الفتاة عندما تدخل عالم المراهـقة وتبدأ التغيرات الفسيولوجـية على جسمها فهى تـواجه عالما مجهولا، وليس هنـاك مصدر موثوق به تستقى منه معلوماتهـا، وتسعى الفتاة بنفسها للاستطلاع عما يظهر فـى جسمها تحركها فى ذلك دوافعها ورغباتها وأحلامها فتلجأ إلـى الكتب غير العلمية والمجلات الجنسية وأشرطة الفيديو وبعض الزميلات ممن يتقدمـن عليها فى العمر، وجميع هذه المصادر تقدم معلومات خاطئة أو مشوشة ومبتورة تعطى صورة قاتمة، وتسعى الفتاة إلى المزيد من المعلومات، وربما تحكى لها بعض الـزميلات عن تجارب لها فى هذا الميدان إلا أنها تعرضت للتشهير بها فساءت سمعتـها فى المجتمع وضاعت كرامة أهلها بسبب ما فعلته من وضع شاذ لا يقره الدين، ولا يعترف به مجتمع.

ومما لا شك فيه أن التليفزيون أصبح وسيلـة خطيرة للإثارة الجنسية بما يقدم من أفلام بها مناظر تثير المشاعر، ، وبينما الـفتاة فى حالة ثوران نفسى واضطراب عاطفى نسمع كلمات الإعجاب بها مـن شاب يغازلها ثم كلام الصديقات عن علاقتـهن العاطفية مع فلان، وفلان !! ويـستمر الحديـث إلى أن تأتى سيرة فـلانة التى طلقت بسبـب غيرة زوجها عليها ومعرفته لبعض ملامح ماضيها فيرعبها ذلك وتعيش فى دوامة التفكير.

ولما كان كل ذلك يتم فى جو تنتشر فيه الأمية الدينية فإننا نقول للنساء بالذات: تعالين إلى القرآن الكريم ،افتحن المصحـف واقرأن فيه فسوف تجد الواحدة منكن أنها أمام مصدر عـظيم من المعلومات؛ لأن الإسلام دين الـرحمة ودين الشفقة والـمعاملة بالإحسـان، وتعالين أقص علـيكن شيئـا مما ورد فى القـرآن وفى السنة النبـوية لأنها كالمذكرة التفسيرية للقرآن الكريم:



ليلة الزفاف

إن أسعد شيء للفتاة هي أن تلبس الثوب الأبيض والطرحة البيضاء وأن تنتقل من بيت أهلها إلى بيت زوجهـا بعد عقد القران . . هذا هو الزواج بسبب المودة الحقيقية والرحمـة المتبادلة والسكن النفسي، يقول ربنا : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾ [**الروم**].

فالزواج سمو بالعواطف القلبيـة، وهو في اللغة (الاقتران) قال الجوهري (زوج المرأة بعلها . . وزوج الرجـل امرأته. قال تعالى : ﴿ **وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ** ﴿٢٠﴾ ﴾ [**الطور**]. لكن المصطلح الاجتماعي للزواج هو (امتزاج . . واتحاد يعترف به المجتمع بعد تمام عقد الزواج بين رجل وامرأة يتم تحت مظلة الإجراءات الشرعية) ثم إن الزواج منظم للعلاقات الأسرية التي تؤثر في كثير من الحقوق الإنسانية . لذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم ينبهنا أنه في لية الزفاف يجب على الزوجة أن تتزين لزوجها، وعندما يدخل عليها زوجها يضع يده على رأسها ويسمى الله تبارك وتعالى ويدعو لها بالبركة ؛لقول الرسول ﷺ :«**إذا تزوج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها .. وليسم الله عز وجل وليدعُ بالبركة، وليقل: اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه**» رواه البخاري.

أي أن العريس يضع يده على مقدمة رأس العروس ويدعو الله بما قدمنا . . ويستحب للعروسين أن يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة. يقول العريس : «اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم في، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير» ثم نبه الرسول ﷺ إلى مداعبة الرجل لزوجته ليهيئ نفسها إلى الجو الجديد والبيئة الجديدة التي انتقلت إليها. وقد كان رسول الله ﷺ قدوتنا في ذلك فكان إذا خلا بأهله يكون (ألين الناس وأكرم الناس ضحاكا بساما) ونبه الرسول ﷺ الرجل إلى أن يداعب أهله ويقبلهم من باب التهيئة النفسية للمعاشرة الجنسية، فيقول كما روى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس: «**لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول** .قيل: وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : **القبلة والكلام**».



كمـا نهى عن أن يـضرب الرجل زوجـته ثم يـلتقـى بها فى الـفراش فقـال فى الحديث : « **لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم يجامعها فى آخر النهار** » .

كما رغب الرسول ﷺ التزوج بالبـكر ، وقال لجابر بن عبد الله : «**هـلا بكـرا تلاعـبهـا وتلاعـبك؟**» . . كما نبه عـلى حسن معاشرة الزوجة وملء الجـانب النفسى والجمالى من حـياتها ومراعاة التوافق الجـنسى والإشباع الغريزى بين الزوجـين فيدعو الرجل إلى اتخاذ كل الوسائل والأساليب التى تحبب إليه زوجته وتعمل على شدها إليه نفسيا وغريزيـا وتدعو إلى إشباع كل دوافع الرغبة واللذة فى نفـسها عن طريق الحرص على الجـانب الجمالـى فى شخصـه ، والعمل على جـذب الزوجة إليه ثـم مداعبتـها وإثارتها حسيا للتوافق معه قبل أن يقدم على الجماع وممارسة العلاقة الجنسية ؛ فالمرأة طرف معادل فى اللذة والاستمتاع الجنسى وليـست وسيلة للاستمتاع والإشباع الغريزى للرجل ، فقد جاء فى الحديث : «**إذا أتى أحدكم أهله فليكن بينهما ملاعبة فإنه أطيب لـلأمـر**» وعلى الرجل أن يتحين الوقت المناسب للمـعاشرة وبما يتفق مع مزاج زوجته وهى كذلك تتزين وتبدى من الملاطفة على أن تراعى مزاج زوجها . ففى الحديث «**إذا أراد أحدكم أن يأتى زوجته فلا يعجلها فإن للنساء حوائج**».

ولنعلم جمـيعا أن قضاء الشهوة مع الـزوجة بقصد إعفاف النفـس وابتغاء الولد عبادة تستحـق المثوبة والأجر . ففى الحديث الصحـيح الذى رواه الشيخان . . «**وفـى بضع أحدكـم صدقة** . قال الصحابة : يا رسول الله أيأتى أحدنـا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قـال الرسول ﷺ : **أرأيتم لو وضعها فـى حرام أكان عليه وزر؟** قالـوا : نعم . قال الرسول ﷺ **فكذلك إذ وضعها فى الحلال كان له أجر**».

هذه هى ليلـة الزفاف التى تخوف بعـض النسوة منها . إنـها ليلة العمـر وسعادة الأهل وعز العشيرة والمصـاهرة التامة ؛ لقول الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا** ﴿٥٤﴾ ﴾ [**الفرقان**] .

وقوله سبحانه على لسان الصالحين : ﴿ **وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾ ﴾ [**الفرقان**] .

إن ليلة الزفاف هى ليلة العمر ونرى فى صباح اليوم التالى أن والد العروس يمشى بين الناس وهو عالى الرأس موفور الكرامة لأن ابنته زفت إلى زوجها فوجدها على نقاء وطهارة. . أما إذا كانت غير ذلك فإن الخزى يعلو وجه الأب ويمشى بين الناس منكس الرأس؛ لأن من تزوج فتاة بكرا ثم اكتشف أنها ثيب وتبين له أنها انحرفت فله أن يردها إلى أبيها ويفارقها حيث لا يجوز الزواج من فتاة زنت ومشت فى حياة الوحل وانغمست فى مستنقع الرذيلة. أما إذا تبين له أن طبيبا أعاد لها غشاء البكارة حتى لا يفتضح أمرها أو يلحق العار أسرتها فهذا غش وخداع ويعتبر الطبيب والفتاة ومن ساعد وأشار بإجراء هذه العملية آثمين جميعا لأن ذلك غش وخداع ، ولربما تكون الفتاة حاملا من الزنا وبعد ستة أشهر أو أقل تضع طفلها فيكون الزوج قد غُرِّر به وَخُدع . وقد اتفق العلماء على أن الرجل إذا عقد قرانه على امرأة ثم تبين له فساد هذا الزواج لأنه تزوجها على أنها بكر ثم ظهر له عكس ذلك فإن العقد مفسوخ لحديث رواه أبو داود أن رجلا تزوج امرأة بكرا فى سترها فدخل عليها فإذا هى حبلى فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال : « **لها الصداق بما استحللت من فرجها**» وفرق بينهما واعتبر العقد مفسوخا.

إن الله أمر الرجال أن يعاشروا نساءهم بالمعروف؛ لأن الحياة الزوجية شركة موفقة بين الزوجين، فمن حق الزوجة على زوجها أن لا يسىء إليها ولا يسمعها كلاما جارحا ولا يضيق عليها فى المعيشة، بل يعاملها بتقدير كامل وعطف زائد وحنان مستمر. ويقول الله تعالى : ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** (١٩) ﴾ [**النساء**].



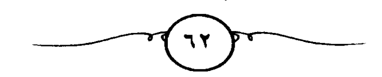
يقول ابن كثير : (كان من أخلاق النبى ﷺ مع أهل بيته أنه جميل العشرة دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم، ويضاحك نساءه) . . كما أنه ﷺ كانت تراجعه بعض أزواجه فى الكلام وتهجره إحداهن إلى الليل لأنه هو القائل فى آخر كلام له فى حياته : «**الصلاة وما ملكت أيمانكم ، الله الله فى النساء لا تكلفوهن ما لا يطقن فإنهن عوان فى أيديكم أخذتموهن بأمانة الله** » . . كما ورد عنه ﷺ فى حديث رواه الطبرانى: «**أول ما يوضع فى ميزان العبد نفقته على أهله**» وفى قوله أيضا فى حديث رواه أحمد : «**كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت**».

أيتها الفتاة المضربة عن الزواج

أرأيت هذا التكريم الذى كرمك الله به من نبى الإسلام الذى دعاك إلى أن تكونى أمينة على نفسك حريصة على شرفك لتسعدى بزوج تجدين فى ظله الأمن والأمان والسعادة والهناء، ولا تأخذى معلوماتك من مصادر خاطئة فالدين يكفيك، والقرآن يهديك، لأنه يا ابنتى - وبلا شك - أن الفتاة العانس عندما تختلى بنفسها ليلا وترى الزوجة تمشى مع زوجها ، وتسمع الأم تناغى أطفالها، وترى البيوت المضيئة والسعادة ترفرف على هؤلاء جميعا لا شك أن نوعا من الكآبة سيحتل فى نفسها ركنا كبيرا .

ولقد التقيت بأكثرمن فتاة ورأيت الدموع فى عينى كل واحدة وهى تقول :ماذا أصنع مع أهلى كلما تقدم لى عريس كانت المغالاة فى المهور أو الشبكة أو الشقة هى العقبة التى يضعها الأهل أمام العريس الذى يخرج ولا يعود؟ . . وإذا ما ذهبت إلى الرجل العزب رأيته يتحسر وهو يقول لك: «ماذا أصنع ومرتبى لا يزيد عن (١٥٠جنيها) فى الشهر ومطلوب منى أن أرد بعض الجميل لأهلى ولا أتنكر لهم وعلى أن أنفق عليهم. . وتلتقط الخيط بعض الفتيات وتقول : أنا فى نفس المشكلة لأننى أكبر أخواتى وكلهن فى مراحل التعليم ووالدى يقول لى : يا ابنتى ساعدينى على تربية أخواتك فأنا أنفقت عليك ، وهنا لا أجد مناصا من الاستجابة . . وتلتقط الخيط فتاة أخرى وتقول : أنا أريد أن احتفظ برشاقتى وجمالى لأننى أريد أن أكون فتاة إعلان أو بطلة فيلم، أو الممثلة الأولى فى المسرحية.

ونحن كعلماء دين ورجال اجتماع نقول: إذا كان الزواج هكذا من وجهة نظركم فإن تأخير سن الزواج الذى يؤدى إلى العنوسة والعزوبة قنبلة تهدد المجتمع بالخطر، ونقول لكل فتاة: اعلمى أن أفضل شيء لك هو الزواج فلا تؤخريه لأن المجتمع العربى كان يزوج الفتاة وهى بنت عشر سنوات عندما كانت الحياة سهلة ميسرة فلما تعقدت الأمور وتأزمت الحالات تأخر السن إلى (١٦) ثم إلى (١٨ سنة) وكانت الفتاة إذا بلغت العشرين قالوا عنها بأنها عانس واليوم ننبه الأذهان ونصيح فى البشرية بصوت عال ونقول لهم : اعلموا أن الزواج خير وسيلة تحفظ للفرد كرامته، وللعائلة شرفها ، ويدفع بعجلة التنمية إلى التقدم والازدهار فلننتبه ولنكن عاقلين قبل أن نندم ولا ينفع الندم .



من أجل الرشاقة والوزن الخفيف وعدم ترهل الجسم أضربت بعض الفتيات عن الزواج . . لماذا؟ لأن الواحدة منهن تريد أن تعمل ممثلة أو عارضة أزياء . . وبالتالى فلابد أن تكون رشيقة خفيفة ليستطيع الممثل حملها على يديه إن اقتضى الأمر . . ولعل ما نشر فى بعض الجرائد على أن أربعة ملايين عانس فى مصر، وأن هذا العدد صرح به أحد المسئولين فى الأجهزة الرسمية والذى أوصل الرقم إلى هذا العدد هو الكثير من المضربات عن الزواج ممن يعملن فى المسرح أو السينما أو عارضة أزياء . .

ونحن هنا كمسلمين لا نقف مع هؤلاء اللاتى يعملن فى هذا الميدان ونقول لهن: لماذا تحرمن على أنفسكن ما أحله الله؟ إن الله شرع الزواج وجعل البيت هو ميدان عمل المرأة وهذا ميدان لو تعلمون عظيم، ثم إنه بالزواج يسلم الإنسان من الانحلال الخلقى ويأمن على نفسه من الفساد الاجتماعى ؛ لأن غريزة الميل إلى الجنس الآخر أمر فطرى لا دخل لأحد فيه، فلماذا هذا ؟ سوف أسرد على مسامعكن ما قالته بعض الممثلات لتعرفن أن الزواج أمر لابد منه . إننا نتخذ النبى ﷺ قدوة وزوجاته أسوة ولكن الأقرب إلى مسامعكن هو كلام الممثلات فتعالين نجلس معا أمام (مارلين مونرو) فهى أشهرممثلة إغراء . . لقد كتبت رسالة قبل أن تنتحر- ولا شك أنكن عندكن علم بأنها انتحرت - قالت فى رسالتها:

(إنى لأتعس امرأة على هذه الأرض لم أستطع أن أكون أما . . إنى كامرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهى رمز المرأة . . لقد ظلمنى الناس وإن العمل فى السينما يجعل المرأة سلعة رخيصة تافهة مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة) .



علينا أن نتدبر فى هذه الكلمات ،فالمرأة الممثلة تعترف بأنها سلعة رخيصة تافهة رغم هذه الأضواء المسلطة عليها والبهرجة التى تحيط بها وصورها التى تملأ المجلات والحوائط ودور العرض . . ومع ذلك فإنها فى لحظة صفاء نفسى واتزان العقل والشخصية التى تعترف بالواقع وتقر الحقيقة تمنت أن تسترد ما فقدته من أمومة وشرف ضاع فى سبيل الشهرة الزائفة .

وتقول الممثلة الأمريكية (بربارة سترايسند) فى آخر مقالة صحيفة لها : (لقد بدأت أتأكد من أن أشياء كثيرة غير ذات قيمة فى حياتى اهتممت بها أكثر مما يجب فقد اهتممت بحياتى الفنية ونسيت حياتى كامرأة وكإنسانة ،مما جعلنى اليوم أحسد

النســاء اللواتى عندهن الوقـت الكافى للاعتنـاء بأزواجهن وأطفـالهن . . والحقيـقة أن النجـاح والـشـهرة لا معنـى لهما فى غـياب الحياة العـائلية حيـث تشعر المـرأة بانها امرأة) .

هذا صوت مـن امرأة أخرى تعـلن أنها تحـسد النسـاء اللواتى تزوجن وأنـجبن الأطفال لأن المال فى يديها لم يملأ مشاعرهـا ولم يحقق لها السعادة لأنها وثقت أنها ستموت وبمـوتها تنتهى حياتهـا فلا تذكر بين الناس؛ لأن الإنسان يذكـر بنسله وأسرته التى كونها وأعماله الصالحة التى تركها من ورائه .

ثم تعالوا بنـا نعيش مع كاتبة شهـيرة إنها (أنا رورد) كتبت فى جـريدة الإيسترن ميل الإنجليزية تقـول : «لأن تشتغل بناتنا فى البيوت خوادم أو كـالخوادم خير وأخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد . . ألا ليت بلادنا فيها الحشمة والعـفاف رداء وتسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافـق فطرتها الطبيـعية من القـيام فى البيت وترك أعـمال الرجال للرجـال سلامة لشرفها» فهل آن الأوان أن نستمع إلـى صوت العقل، وأن نعلم أن الإسلام الذى حمله سيدنا محمد ﷺ إلى الإنسانية كلها هو الـذى كرم المرأة وصان شرفها وحافظ عليها. وأعلن سـيدنا محمـد ﷺ على الدنيا كـلها: «ما أكرم الـمرأة إلا كريم وما أهـانها إلا لئيم» .

فروق

لاشك أن الرجل والمرأة خلقـهما الله لحكمة عالية ،وجعـل لكل ميدانه، وأنه زود كل واحـد بخصـائص تتـفق مع مـيدان عمـله . . فالـرجل يختـلف فى تكـوينة الجسمانى عن المرأة التى كتب الله عليها أن (تحيض) فى كل شهر مرة وأثناء الحيض تضطرب حالتها وتصاب بالصداع فى الرأس والألم فى البطن وتبلد فى الحس وحاسية فى النفس وتقل شهيتها للطعام ويسوء هـضمها ، لهذا فهى تختلف عن الرجل بوجود خلقة تؤهلـها لخصائص الأنوثـة فى دقة الخاصرة وبـروز الثديين وبلين الجـانب ورقة العاطفة ونعومة الملمس وعذوبة الحديث وكـثرة الخجل والحياء، وضعف التحمل . . كمـا أن المرأة دائما تنـدفع وراء عواطفهـا من حب، ورجاء ، وهذه العـاطفة نتيـجة تركيبها الجسمانى ووجود أجهزة وغدد فى المرأة تعمل لذلك. وقد أثبت العلم والطب الحديث هـذا . . وإذا كان الأمر كذلك فـإن عاطفتهـا وانفعالها يـطغيان على عـقلها واتزانها، وهناك بعض شخصيات نسائيـة عرفت بالاتزان حتى ولو شاهدت حادثا أليمًا



أو مشهدا مثيرا ؛ لكن الكثرة كما قلنا هن اللاتى ينطبق عليهن كل ما سبق، ولكن لكل قاعدة شواذ .

ولما كانت هذه الفروق الجسمية والعقلية والنفسية بين الرجل والمرأة فإن الحكمة اقتضت أن يقوم الرجل بعمل والمرأة تقوم بعمل . . ولما كان الرجل أقوى جسما وأضبط عاطفة وأكثر اتزانا ؛فإن الحكمة تقتضى أن يقوم بأشق الأعمال وأثقل التكاليف كأن يسعى فى مناكب الأرض ويجاهد فى ساحات الحروب والوغى ويتولى شئون الإدارة والحكم . . ولما كانت المرأة أضعف منه فإن الحكمة تقتضى أن تقوم بالأعمال التى تتفق مع تكوينها وعاطفتها كتدبير المنزل وأداء حقوق الزوج ورعاية الأولاد ،وهى بذلك تقوم بوظيفتها الطبيعية التى خلقت من أجلها . . وإلى هذا أشار الحق سبحانه : ﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ ﴿٣٢﴾** ﴾ [**النساء**] .

وأعود فأكرر أننا لا نمانع فى عمل المرأة ولكننا نطالب بترشيد عملها بحيث تكون مدرسة فى الحضانة والمدارس الابتدائية، وما يختص ببنات جنسها كتعليم الخياطة والتمريض ومباشرة مهنة الولادة للنساء بحيث يكون متفقا مع تكوينها الجسمانى واستطاعتها البدنية، وأن تلتزم حدود الآداب الإسلامية كالتزامها بالحجاب وعدم الاختلاط بالأجانب .

إن المرأة فى الغرب زاحمت الرجل فى كل عمل، لأنها هناك إذا بلغت سن الثامنة عشر من عمرها فعليها أن تبحث عن عمل؛ لأن أباها غير مسئول عنها، أما نحن هنا فى الشرق فقد بدأت تهب علينا رياح الغرب وتفد إلينا تقاليده التى لا تقيم للآداب العامة وزنا ولا للمفاهيم الخلقية حرمة، فإننا نقول للمرأة هنا إياك أن تنخدعى أو تخدعى بصياح الغرب ،بل عليك أن تعلمى أن الإسلام صان كرامتك وحفظ لك عفافك؛ لذلك فرض عليك الحجاب وحرم عليك الاختلاط وأوجب نفقتك على الأب أو الأخ أو العم أو الزوج أو الولد، وإذا لم يكن من ذلك أحد فالدولة مسئولة عنك لتصونك من عبث العابثين.



القوامة

كأنى بعد ذلك أسمع صوتا نسائيا يقول: (نحن النساء لا نريد للرجل آن يتحكم فينا) وأصغيت للصوت وقلت لها أعيدى ماذا تقصدين ؟ قالت: أقصد (القوامة) التى تقولون عنها لكنها فى عرفنا نحن النساء (سيطرة الرجل واستبداده بنا) فقلت لها يا سبحان الله هل تعرفين القوامة يا أختاه؟.. تعالى أولا نتكلم عن العلاقة بين الرجل والمرأة لتعرفى أن الإسلام حافظ على المرأة وكرمها واهتم بها؛ لأن القرآن يصور الأسرة بأنها الرابطة القوية والسكن الذى يأوى إليه أفرادها ، وهذه الصورة وارفة الظلال يتضوع عطرها ويشع نداها على الطرفين؛ لأن العلاقة الأسرية تقوم على الأنس والاستقرار وتحمل كل طرف للآخر ومواساته ؛ لأنها علاقة نفس بنفس فى حالة يتم فيها الرفق والتعانق وهذه حكمة الزواج وغايته ، واسمعى إلى قوله الله تعالى : ﴿ **هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ** ﴿١٨٧﴾ ﴾ [**البقرة**] .

ولقد قال المفسرون فى هذه الآية: قال ابن عباس: «هن سكن لكم وأنتم سكن لهن».. أما الزمخشرى فيقول: «إن بينكم وبينهن ملابسة ومخالطة» فيرى أن كلمة لباس مصدر لابسه بمعنى خالطه وعرف دخائله وليس هو اللباس والإزار كما يظن كثيرمن الناس، فالزوجية فى نظر القرآن ليست عقد تمليك أو بيع أو إجارة وإنما هى عهد قوى وميثاق غليظ ترتبط به القلوب وتختلط المصالح ويندمج كل من الطرفين مع صاحبه وتتحد مشاعرهما وتلتقى رغباتهما وآمالهما .

لهذا رغب الله فى زواج الصالحات والمرأة الأصيلة التى نشأت فى منبت كريم يقول الله تعالى : ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴿٣٢﴾ ﴾ [**النور**] .

يقول الإمام الرازى : (الازدواج الروحى إنما هو قانون من أمر الله) .

والرسول ﷺ وضع لنا مواصفات المرأة الصالحة فقال فى حديث رواه أبو داود: «**هى التى تسرك إذا نظرت وتطيعك إذا أمرت ولا تخالفك إلى ما تكره فى نفسها ومالك**» ويقول أحد العلماء عن المرأة الصالحة (الصوامة القوامة.. الصابرة الشاكرة.. العفيفة الحديث.. الكريمة اللقيا.. العزيزة النفس.. الأمينة فى سرها وجهرها.. التى لاتخون ولا تفرط .. وتؤدى واجبها المقدس بإخلاص وإيمان وتضحية كأم وزوجة» .



إذا كانت المرأة بهذه المواصفات فـإن على الرجل أن يحافظ على زوجته ليدوم لها الهناء والسعادة.

فما هى القوامة؟

هى تأمين النفقـة وتوحيد القيادة حتى تتهـيأ للزوجين حياة آمنة والناشـئة بينهما حياة سعيدة ،وفى ظل هذه المعاير تتحدد المسئولية فيكون لكل عضو فى الأسرة دوره وموضـعه يؤديه بدقة وانـضباط وحتى لا يـتكل على غيـره، فتهب علـى الأسرة رياح التغيير.

إذن القـوامة هنـا مسـئوليـة كل واحد عـن دوره محافـظة على هـناء الزوجـية وسعادتها، علما بأن القرآن الكريم بالغ فى التوجيه بحسن المعاشرة وقيام كل واحد من الزوجين بأداء واجبه ، تنمية لتلك الرابطة وصونا لها عن الضعف والانحلال.

فـالقوامـة مـعناهـا القيـادة والرعـاية والأمـن والحصـن، وإلى هذا أشـار الله تعـالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴿٣٤﴾ ﴾ **[النساء]**.

فالقـرآن الكريم لم يكتف بـالمماثلة بيـن الزوج وزوجته وأن يكون مـا يأتى به الزوج فى حسن المـعاملة مساويا تمـاما لماتأتى به الزوجـة ، بل يوجه الزوج إلى أن مسئولـيته أكثر من المـماثلة فهو يعطى لزوجـته ويقدم لها ولا يأخـذ منها، وذلك هو الدرجة فى قوله الله تعالى : ﴿ **وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ** ﴿٢٢٨﴾ ﴾ **[البقرة]**

فالدرجة هى عطاء أكثر فى حسن المعاملة ، فهو يعطى من نفسه ومروءته وماله أكثر مما يأخذ. . فالدرجة هنا ليـست درجة سيادة ولا امتياز . . وإلا كان عقد الزواج غير متكافـئ ؛لأن الكفاءة شرط فى الزواج، وعدم التكافؤ يبـطل أى عقد فى الإسلام ولكنـنا كمـسلمـين نفـهم أن المـراد بالدرجة الـخلق العـالى. . ونبـل الأخلاق ، والمروءة. . ودرجة التـهذيب والتفوق فى حـسن العشرة، يقول ابن عـباس: «الدرجة إشارة إلى حض الرجـال على حسن العشرة، والـتوسع على النساء فى الـمال والخلق والصبر». وإلى هذا أشار الحق سبحانه: ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا** ﴿١٣٢﴾ ﴾ **[طه]**.

ونتقل هنا كلاما للأستاذ عباس العـقاد رحمه الله يقول: «والقوامة فى هذه الآية مستحـقة بتفضيل الفطـرة، ثم بما فرض الله عز وجل على الرجـال من واجب الإنفاق



على المرأة وهـو واجب مرجعه إلى واجب الأفـضل لما هو دونه، وليس مـرجعه إلى مجرد إنفاق المال، وإلا لامتنع الفضل إذا ملكـت المرأة مالا يغنيها عن نفقة الرجل أو يمكنها من الإنفاق عليه» .

ويقول الشيخ محـمود شلتوت : «وحكم القرآن بتفضـيل الرجل على المرأة هو الحكم البيـن من تاريخ بنى آدم منذ كانوا قبل نـشوء الحضارات والشرائع العـامة وبعد نشوئها» .

إن قوامة الـرجل على المرأة ناتج عن إلـقاء مسئوليـة النفقة على كـاهل الرجل وحده لأنه هو المـسئول عن توفير حـياة زوجية هادئة منـتظمة مستقـرة دون أن تسيطر عليهـا الفوضى والإرهاق والتـعاسة . . إن الله سبـحانه خلق الرجل والـمرأة ولا يريد لجنس أن يظلم الجنس الآخر ،حيث إنه سبحانـه أعد كل واحد منهما لوظيفة خاصة، ومنحه الاستعدادات اللازمة لإحسان هذه الوظيـفة ، ورياسة الرجل لزوجته لا تتضمن نقصا من حقوقها المعادلة لحقوق الرجـل أو استبدادا بها أو مساسا بحريتها ،لكن هذه الرياسة وسيلة لحـسن سير الأمور فى الأسرة لأنها تقابل التبـعة، لذلك هى تقوم على التفـاهم الكامل والتعـاطف المستـمر؛ ولهذا قال الرسـول ﷺ فيما رواه الـترمذى : **«خيركم خيركم لأهـله وأنا خيركم لأهلى»** . . فالقوامة إذن وضعت فى يد الرجل لأنه أكثر اتزانا، وأبعد نظرا، وأعـطيت له مقابل المسئولية التى حمـلها، علما بأن الرسول ﷺ وجهه بقوله : **«ما أكرم النساءَ إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم»**.

وإذا كان هناك من اتخذ من هذه الـقوامة إهدارا لشخصية المرأة واستـعمل معها القهر والاستبداد ويحـاول طمس أهليتها فى التصرف، ويهدر كل مقـوماتها الإنسانية، فإننا نقول لهذا الرجل : أنت لا تفهم الإسلام ، وتجد أسرة هذا الرجل المستبد الظالم تسيطر عليهـا الفوضى وعدم النظام ، ويعيش مع زوجته فى نـكد وشجار، وبالتالى لا يستطيعان التفرغ لرعاية الأولاد، ولم يسعدا بمداعبة الأطفال، وهم زينة الدنيا ، وزهرة الحياة مثل هذا الرجل نحكم عليـه بأنه شخص لم يفهم الإسلام، وهو رجل أمى وإن كان يحمل أعلى الشهادات . . إن الرجل هو المـسئول الأول عن حياة الأسرة، وعليه وحده يقع عبء تدبير نفقاتها وأسباب توفير الرفاهية لها. ونقتطف هنا كلاما لمصطفى



الرافعى الأديب العظيم يقول مخاطبا المرأة المسلمة : «احذرى وأنت النجم الذى أضاء منذ النبوة . . أن تقلدى هـذه الشمعة التى أضاءت منذ قليل . . إن المـرأة المسلمة هى استمرار مـتصل لأدب دينها الإنسانى العظيـم، وهى دائما شديدة الحفاظ علـى حياتها الأسرية والزوجية، فإن قانون حياتها دائما هو قانون الأمومة المقدس».

إن المـرأة المسلـمة هى الـطهر والعـفة . . هى الـوفاء والأنفـة . . هى الصـبر والعزيـمة . . هى كل فضـائل الأم . . فما هو طريـقها الجديـد فى الحياة الفـاضلة إلا طريقها القديم بعينه.

«أيتها المرأة المسلمة احذرى تهوس المرأة الأوربية فى طلب المساواة بالرجل ، لقد ساوته فى الذهاب إلى الحلاق . . ولكن الحـلاق لم يجد فى وجهها اللحية . . إن المرأة خلقت لتحبـب الدنيا إلى الرجل فكانت بمساواتها مادة تبـغيض ، والعجيب أن سر الحيـاة يأبى أبدا أن تتساوى المرأة بـالرجل إلا إذا خسرته. والأعجب فـإنها حين تخضع يرفعهـا، هذا السر ذاته عن المساواة بالرجل إلى السيـادة عليه، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: **«أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك»** . وهو القائل صلوات الله عليه: **«الجنة تحت أقدام الأمهات»**.

وإذا كان هذا كـلام الرجال الذين فهـموا مغزاه ومـرماه، فلا بأس أن نـنقل هنا كلاما لرجـل أجنبى لايدين بالإسلام ،ونقـرأ رأيه لنقول فيـما بين أنفسنا (والـفضل ما شهدت به الأعداء).

يقول المفكر الغربى «ألكسيس كاديل» فى كتابه «الإنسان ذلك المجهول» : «إن ما بين الرجل والمرأة من فروق ليست ناشئة عن اختلاف الأعضاء التناسلية وعن وجود الرحم والحمل أو عـن اختلاف طريقة التربيـة فحسب ، وإنما هذه الفـروق ناشئة عن سبب جد عميق : هو تأثير الأجهزة العضوية بكاملها بالمواد الكيماوية ومفرزات الغدد التناسـلية ، وإن جهـل هذه الوقائع الأسـاسية هو الـذى جعل رواد الحـركة النسـائية يأخذون بـالرأى القائل بأن كـلا الجنسيـن : الذكور والإناث، يمكـن أن يتلقوا ثقـافة واحدة ، وأن يمارسوا أعمالا متماثلة . . والحقيقـة أن المرأة مختلفة اختلافا عميقا عن الرجل، فكل خلية فى جسمها تحمل طابع جنسها ،وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضـوية ولاسيما الـجهاز العصـبى . . ثم يقول : (ويغـفل الناس عادة شأن وظـيفة الولادة بالنسبة إلى الـمرأة مع أن هذه الوظيفة ضرورية لكمال نـموها؛ ولذلك كان من



الحمق والسخف صرف المرأة عن الأمومة ، لذلك لا ينبغي أن يتلقى الفتيان والفتيات ثقافة واحدة، ولا ينبغي أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة، وعلى المربين أن يدركوا الفروق الجسمية والعقلية بين الذكر والأنثى . . فبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول، ومن الواجب مراعاتها عند بناء العالم المتمدين» ا هـ.

إن الإسلام عندما منح الرجل «القوامة» فليكن الأمر معلوما لدينا أن هذه المنحة الإلهية هي لما يقدمه الرجل من مهر وهدايا وشقة، ثم الإنفاق على الزوجة وأولادها، وليس للمرأة أن تنفق مليما واحدا حتى ولو كانت موظفة إلا برضا نفسها وبطواعية منها ولا يجبرها أحد على أن تنفق على البيت حتى ولو كانت غنية ، وزوجها فقير ، فإن النفقة عليه هو، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النساء] لذلك كان من توجيه القرآن أن على الرجل أن لا يفرض رأيه على زوجته بالقهر والجبروت، وإنما عليه أن يشاورها ؛لأن الشورى نظام إسلامي يستعمله الرجل مع أهل بيته. وهذا من العلاج الناجع والتنظيم والعادل في استتباب الأمن بين الأسر عندما يفهم كل شخص دوره في الحياة.

على المرأة ما على الرجل

إذا كان الإسلام قد وجه الرجل أن يشاور زوجته فإن الأمر كذلك على المرأة أن تشاور زوجها في كل أمر تعزم على تنفيذه ؛لأنه في جو الشورى تعيش الأسرة في حياة مشتركة في الرأي يعمل الرجل والمرأة على ما فيه استتباب الأمن والاستقرار. يقول ربنا في بيان هذا : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ [البقرة] .

إن الإسلام عندما رغبنا في الزواج جعل الكفاءة شرطا، والكفاءة كما يقول الإمام الشافعي تكون في الدين أولا وزاد عليها. . السلامة من العيوب. . وزاد بعض المتأخرين من فقهاء الشافعية تساوي الزوجين في السن أو تقاربها، فلا يليق بنا أبدا أن نزوج الرجل الهرم بفتاة صغيرة ؛ لأن ذلك يؤدي إلى اضطراب الحياة الزوجية والفساد الخلقي، أما الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه فإن الكفاءة شرط عنده لصحة الزواج، واعتبرها في الزوج فقط فإن كان الزوج دون زوجته لم يكن كفؤا لها ، لأن الزوجة لا ترفع قدر زوجها بل تنزل هي إلى مستواه وهذا يضر به.

أما إذا كانت الزوجة دون زوجها فإنه سيرفعها إليه ويعلي من قدرها، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لأمنعن فروج ذوي الأحساب إلا من الأكفاء). وقال:

(لا تكرهوا فتياتكم على الرجل القبيح فإنهن يحببن ما تحبون). وعلى هذا يراعى الكفاءة فيه من ناحية النسب والسن والتعليم والحالة الاجتماعية. وأهم من كل ذلك: الدين فالرسول ﷺ يقول: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» ويقول: «**لا تنكحوا النساء إلا من الأكفاء**» ومع ذلك فإن الرسول ﷺ يحدد لنا ملامح المرأة المطلوبة المرغوبة فيقول عنها: «**إذا نظرت إليها سرتك.. وإن أقسمت عليها أبرتك.. وإن أمرتها أطاعتك.. وإن غبت عنهاحفظتك فى نفسها ومالك**».

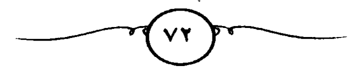
والمرأة التى بهذه الصورة هى التى تحرص على الزوج ولا تطالب بأن تكون العصمة فى يدها ولا أن تكون القوامة لها ولا تلجأ إلى القاضى لتأخذ الإذن بسفرها منفردة دون زوجها ،وإنما هى تحرص على بيتها أشد ما تكون لأنها مؤمنة بأن البيت هو مملكتها تديره بنفس آمنة وعاطفة تفيض بالحب لزوجها وأولادها، ولا بأس هنا أن نورد التوصيات التى قالتها المرأة الحكيمة لابنتها فلعلها تكون دستورا نقتدى به ونعلمه لبناتنا. . إنها أمامة بنت الحارث الشيبانية، امرأة عاقلة فصيحة نبيلة كانت فيما قبل الإسلام (فى الجاهلية)، وجهت وصية لابنتها عندما كانت تهيئها للزواج من الحارث ابن عمرو ملك كندة. قالت الأم وهى توصى ابنتها :

«أى بنية. . إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للغافل، ومعونة للعاقل. . ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه،. . ولكن النساء للرجال خلقن . . ولهن خلق الرجال. . أى بنية . . إنك فارقت الجو الذى منه خرجت وخلفت العش الذى فيه درجت. . إلى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكونى له أمة يكن لك عبدا. . أى بنية . . احملى عنى عشر خصال تكن لك زخرا وذكرا. . أما الأولى والثانية فالصحبة لزوجك بالقناعة. . والمعاشرة له بحسن السمع والطاعة . . وأما الثالثة والرابعة. . فالتعهد لموقع عينيه . . والتفقد لموضع أنفه فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح. . والكحل أحسن الحسن الموجود . . . والماء أطيب الطيب المفقود . وأما الخامسة والسادسة فالتعهد لوقت طعامه والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة. . وتنغيص النوم مغضبة. . وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ ببيته وماله والإرعاء لخدمه وحشمه وجسمه وعياله، فإن الاحتفاظ بالمال حسن التقدير والإرعاء على العيال والحشم حسن التدبير، ولا تفشى له سرا، ولا تعصى له أمرا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وأن عصيت أمره أوغرت



صدره. . وأما التاسعة والعاشرة. . فالحرص على شرفه فى حضوره وغيابه، ثم اتقى مع ذلك الفرح بين يديه إن كان ترحا. . والاكتئاب عنده إن كان فرحا، فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وكونى أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما، وأشد ما تكون له موافقة يكن أطوع ما يكون لك مرافقة، واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك، وهواه على هواك ، فيما أحببت أو كرهت والله يخير لك».

هذه هى الوصية التى قالتها امرأة عاقلة لابنتها ليلة زفافها، فهل تكون أم اليوم كأم الأمس؟. هذا ما نرجوه.

هذا ما كان من أمر امرأة فى الجاهلية وتعالوا بنا نعيش مع القاضى شريح وهو رجل فقيه عالم يؤمن بالله ورسوله ، قال القاضى: تزوجتُ امرأة ، وحينما دخلت عليها قلت لها: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها فى أول ليلة أن يقوما فيصليا ركعتين والرجل الزوج يسأل الله خير زوجته ويعوذ بالله من شرها قائلا: (اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه). . وقمت أصلى ركعتين فإذا هى من خلفى تصلى بصلاتى، فلما خلا البيت ودنوت منها ومددت يدى إلى ناصيتها قالت : على رسلك يا أبا أمية كما أنت، ثم وقفت وقالت: «الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على محمد وآله . . إننى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك فبين لى ما تحب فآتيه وماتكره فأبتعد عنه. . إنه قد كان لك فى قومك منكح، وفى قومى مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله تعالى به  ﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة]. أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولجميع المسلمين . يقول شريح القاضى : فأحوجتنى إلى أن أقوم فأخطب فقلت : الحمد لله أحمده وأستعينه، وأصلى على محمد وآله أما بعد : فإنك قلت كلاما إن ثبت عليه يكن ذلك حظا لى، وإن تركتيه يكن حجة عليك. . ثم أخذت أعدد لها ما أحب، وما أكره، ثم قلت لها: إن رأيت من حسنة فابثيها، وما رأيت من سيئة فاستريها. . فقالت لى كيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت ما أحب أن يملنى أصهارى، قالت فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ؟ ومن تكره أكرهه؟ قلت :بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، ثم يقول القاضى ، فبت معها ليلة من أسعد ليالى حياتى ومكثت معها حولا ، لا أرى منها إلا ما أحب).

إن الذى أوله شرط آخره نور، والسعادة تنبع من داخلنا،وتأتى بها أعصابنا ، وتعبر عنها جوارحنا، لذلك علينا أن نعلم بناتنا هذا الأسلوب ، ولقد سُقت ذلك ليكون بين أيدينا كالدليل الذى نهتدى به، والبرنامج الذى نطبقه حتى تنبع السعادة من قلوبنا وتفيض على جوارحنا وننعم فى ظل تعاليم الإسلام الذى ارتضاه الله لنا دينا، وأنزل علينا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشرَ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا . . . فهل نستفيد من هذه الدروس . .

وبَعْد .. فأين العلاج...؟

تعالوا بنا إلى كلمة سواء؛ نتفق فيها على أن مشكلة حقيقية قائمة تفرض نفسها على واقع حياتنا، وأصبحت تشكل خطرًا: دينيًّا . . وآخر اجتماعيًّا . . وثالثًا اقتصاديًّا، فهناك ثالوث مرضى يحاصر المجتمع أساسه: الإضراب عن الزواج، أو الزواج الموقوف ، أو الطلاق السريع، ومما لا يغيب عن بالنا ، أن الغرب لا يشعر بهذه المشكلة لأنهم هناك أصيبوا بموجة من التفلت التى لا تشكل أرقًا نفسيًّا عندهم؛ لأن الدين ليس برادع عندهم لأنه لا وجود له فى حياتهم، والخلخلة الاجتماعية لا تعوق مسيرة حياتهم، أما نحن هنا فى الشرق أو فى البلاد التى تدين بالإسلام أو تؤمن بصدق بأن الدين لا تزال له هيمنة على النفوس . . هؤلاء يصيبهم الأرق الذى يحدث صداعًا عندهم يؤثر فى تفكيرهم ويعوق مسيرتهم .

والذى نؤمن به أن العنوسة فى مجتمعنا مرض خطير، وسواء أكان عدد العوانس يصل إلى اثنين مليون أو أكثر ، وأن الزواج على ورق أو الزواج الموقوف على إيجاد شقة يصل إلى مليون ، أو أقل أو أكثر، وسواء ارتفعت نسبة الطلاق إلى اثنين مليون أو أقل أو أكثر؛ لأننا استقينا هذه المعلومات من بعضِ الإحصائيات ، ومما لا شك فيه أن هذه مؤشرات مخيفة فى المجتمع العربى؛ لأن النسبة أحيانًا تصل إلى ٨٪ فى بعض الأماكن، وفى أماكن أخرى ٣٪، وسواء أكان فى الحضر أم فى الريف لأن المشكلة تسرى وتتفشى فى مكان وتقل فى آخر .

لما كان الأمر كذلك أصبح هذا المرض مخيفا وعلينا أن نتجه إلى تشخيص العلاج، وخاصة أننا قد وضعنا أيدينا على المشكلة، وعرفنا أسبابها، ومعرفة الداء



أساس تشخيص الدواء، فلابد لنا أن نستعين بالله ، ونسأله سبحانه أن يوفقنا لتشخيص العلاج حتى نحاصر هذا الخطر الداهم فى مهده، بل ونقضى عليه فى أرضه إن شاء الله بشرع الله تعالى، واضعين نصب أعيننا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر].

العلاج...!

الإسلام الذى نؤمن به . وهو دستور الإنسانية ؛ لأن الله سبحانه هو الذى خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه . لذلك أنزل القرآن الكريم ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء].

لذلك قدم الإسلام علاجا مريحا للبشرية. للقضاء على العنوسة؛ لأن الإسلام دين يعالج مشاكل المجتمع . ومن المؤكد أن الإنسانية، وهى تعانى ضربا من فساد الأخلاق يودى بها وبحضارتها وبذلك بأمنها وسلامتها . سبب ذلك فساد الأخلاق. والبعد عن القيم التى أرشد إليها الدين. ويكمن العلاج فى تشريع الله القائل: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص].

وعلاج مشكلة العنوسة نرى أن البند الأول يكمن فى ما شرعه الله لإباحة للرجل فى أن يعدد زوجاته . ونحن نرى أن موضوع التعدد الذى أباحه الله هو لصالح الرجل والمرأة. وما يثيره بعض الأفراد الذين لا يدركون الغرض من هذه الإباحة لا يؤبه لكلامهم لأن الواقع يكذب ما يقولون. والإسلام عندما أباح التعدد نظر إلى مشاكل المجتمع التى تطرأ على الساحة ويتطلب الأمر علاجا لما طرأ. فمثلا . عند قيام الحرب فإن الرجال هم الذين يصطلون نارها ويقع منهم العديد من القتلى. والذى قتل فى الحرب وترك امرأة لم تبلغ الثلاثين من عمرها. هل نقول لها ترهبنى ؟ ونحن ندرك ما تفعله الغريزة. وإن صوتها فى كيان الإنسان أقوى من كل شىء وإذا ما أدركنا

ذلك . فأيهمـا فى منطق الإنسانية أكمـل . أن تكون زوجة الشهيد مصـانة تحت نظر المجتمع وتكون زوجة مع أخرى - أم تحيا بلا زوج فتتعرض لمساوئ الكبت أو رجس الفاحشة؟؟

ماذا يفعل الدين إزاء مشاكل المجتمع . هـل يحرم التعدد ويبيح الفحشاء ثم - هب أن رجلا تزوج بامرأة . أحـبها وأحبته. وأخلصـا لبعضهما، لكن أصـيبت المرأة بمرض حـال بينها وبين صـلاحيتها كـزوجة تصون زوجهـا ويتم حصانتـه. هل نقول للرجل طلقـها وتزوج غيرها. وقـد يكون لا أهل لها ولا ولد. وفى هذا جـفاء وتنكر لعشرة قديمة؟ أم نقول له تزوج عليها وأبق عليـها فى بيتها مع أخت لها فى الإنسانية تراعى كل واحدة مـنهما الأخرى. أم نقول له أبـق على الزوجة غير الصـالحة وابحث عن خليلة وعشيقة وعربد كما شئت. أيهما أحسن في منطق العقل؟؟؟ هل نبيح الطهر ونحرم العهر أم نحرم العفة ونبيح العهر؟؟ لابد أن يكون العقل هو الذى يحكم وليست النداءات غيـر المدركة للأمور لأنهـم يسوقون القضيـة فى مجال الحرص عـلى كرامة المرأة وتغاضوا عن الأسباب التى بسببها أبيح التعدد.

إن الذين يتسلطون على دين الله بدون فهم فهم نقـول لهم تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم نتـعرف على أسباب الإباحة ثم قـرروا أنتم بأنفسكم بعـد ذلك ما تشاءون. إن الدين وضع الأسباب الحاسمة لعلاج كل مشـكلة. . إننا نعلم أن الفتاة صالحة للزواج حسب النضج الجنسى لكنها فى الغالب تتزوج عند سن عشرين : والرجل فى كثير من الأحـوال يقدم عـلى الزواج بـعد سن خـمس وعـشريـن . نظرا لأن الـعبء المـالى والتكاليف وتبعات الزواج عليه هو؛ لذلك يؤخر الإقدام على الزواج وهنا يكون الفرق بين الذكر والأنثى فـيزيد عدد الإناث عن الذكور بسبب هذا؛ لأننـا ندرك تماما ونؤمن موقنيـن بأن الله سبحانـه خلق كل شىء بقدر مـعلوم ونظام دقيق وتـوازن تام حتى لا يطغى شىء على شىء . . لكن ما يحدث من زيادة النساء إنما هو أمر ناشئ بسبب ما نفعله نحن عندما نؤخر زواج الشباب، بينـما الفتيات تقدر على الزواج عند سن خمس عشرة سنة.

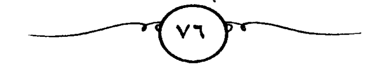
هذه الزيادة عند النساء لابد أن يقابلها التعدد الذى أباحه الإسلام لعلاج واق من الانحراف . لأننا إذا منعنا التعـدد فقد فتحنا الباب لتعدد أثيم تهـدر فيه كرامة المرأة.



وتصبح سلـعة مبتذلة . تتـلقفها الأيدى وتدوسـها الأقدام . ونسأل من يعـترض على التعدد . . هل من الوفاء للمرأة أن نبيح لها ما يصون عفتها ويحفظ عليها شرفها؟ . أم تكون ملهـاة لكل عابث ومتـاعا مباحا لكـل طالب؟ . وهل ترضى المرأة أن تحـيا فى أسرة لها قداستها وطهارتها وشرفها. أم تـقبل أن تعيش فى بيت يخونها زوجها ويعاشر معها العديد من النساء . . يغيب عنها ويهجر فراشها. فهل هى تفعل ذلك وهى تدرك تمامـا أنها الخـاسرة. أيهمـا أفضل ؟؟؟ إن صوت العـقل هو الذى يعلـو ونحن نردد ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة] .

إننا ننكر على أمهاتنا وبناتنا أن يعـشن فى ظل التقليد الأعمى . وعلى المرأة أن تدرك أنها ما عرفت نـعمة الأمن ولا شعرت بكرامتها . ولا نـعمت بالحرية إلا يوم أن أشرقت شـمس الإسلام على الدنيـا، فقد رسم الإسـلام أسلم الطرق وأحسن الـسبل للحياة الكريمة الفاضلة، وما دمنا نعالج العنوسة على ضوء الدين وقيمه؛ فإننا نقول إن أول بند هو أن نعود إلى التعـدد وأن تفهم المرأة أن هذا لصالحها ففيه الـحماية لأختها فى الإسلام وأختها فـى الإنسانية، وقد تكون هى الزوجة الثانيـة .إن المسلمين الأول عددوا ولم تكن هناك مشاكل لأن المرأة أدركت بحسها أن هذا هو أسلم طريق وأفضل من أن ينتشـر الزواج العرفى وزواج المسـيار. الذى يمارسه الـرجل إذا ذهب إلى بلد غير بلده فيتزوج ثم يتركها ويـذهب إلى بلد آخر وهكذا: ومن عيوب زواج المسيار : أن الأخ ربما يتزوج بأخته وهو لا يعلم : أو يـتزوج الرجل بزوجة أبيه وهو لا يعلم . من هنا حرم الإسلام زواج المسيار إذا لم يـسجل وتعلم به زوجته الأولى وأولاده حتى يكون صلة الرحم. ومعرفة الأخ بأخيه. والابن بزوجة أبيه.

إن التطاول على ديـن الله باسم المدنية والتـحضر والتطور لا يلـيق أبدا، وإنما الواجب أن نعرف الأسبـاب وندرس النتائج .ولا يليق أبدا أن نقـول: كل شخص حر يناقش ما يشـاء ويرفض ما يشاء ويتهـجم على دين صلحت به الإنسانيـة وسعدت فى ظلال تعاليمه وعاش المجتمع أزهى الأيام وأحـلاها. إننا نؤمن بالحرية المنضبطه على القيم الدينية والعادات الصالحة والعرف الاجتماعى المتزن المعتدل الذى يستعمل العقل والحوار البناء . أمـا الحرية التى لا تلتزم بـالضوابط فهى فوضى وتؤدى إلـى الانهيار الخلقى والتصدع الاجتماعى.



إن الإسلام دين يتسم بالسماحة والرفق والصدق والالتزام ليعيش المؤمن فى روضة يانعة بالخير ثمارها . أولاد يعرفون آباءهم وأمهاتهم ويفتخرون بهم . أما أولاد العشيقات أو الزواج العرفى أو المتعة أو المسيار. فكل هؤلاء نكبة على الوطن ومصيبة على الأمة. وهم لا يسهمون فى بناء مجتمع لشعورهم بالخجل وانطوائهم على أنفسهم ثم هم يهدمون كل بناء ويخربون كل مصنع لعدم ولائهم للوطن فهم لا يشعرون بالانتماء. ثم إن الزنى يحقق الفقر وينشر الخراب ويسبب الكثير من الأمراض . على عقلاء الأمة أن يدركوا أن ما شرعه الله لعباده خير كله. فإذا كان قد أباح التعدد فذلك لحكمة، فعلينا أن نناقش هذه الحكمة وندرك أنها لسلامة المجتمع وصحة الإنسان.

والدولة عليها عبء كبير لحل مشكلة العنوسة ؛ لأنها المسئولة عن سن القوانين الخاصة بالأحوال الشخصية، وقوانينها فى حاجة إلى نظر فى كتاب الله لنصحح ما وضعه الإنسان ، ثم نرد ذلك إلى منطوق القرآن والسنة النبوية. وساعتها سنجد أن ما أحكمته السماء لطهارة الأرض وما صاغته لصيانة المرأة - أعظم مما صاغه عقل الإنسان. فلو رد الناس الحكم لصالح المرأة إلى ما قرره الله ورسوله وما فهمه العلماء الراسخون فى العلم لكان فى ذلك خير كثير.

إن المجتمع عندما ابتعد عن حكم الله والرضا بتشريعه. ماذا حدث؟ . . تخلخل وتصدع . . وتعالوا بنا نقرأ ما كتبته جريدة الأهرام فى عددها الصادر بتاريخ ١٣ شعبان ١٤٢٠هـ الموافق ٢١ نوفمبر سنة ١٩٩٩م. عن حالات الطلاق التى تحدث فى مصر الآن. كتب الأستاذ عزت السعدنى تحت عنوان ليل الأرامل. يقول بأن الإحصائيات الآن عن حالات الطلاق يوميا هى ٣٠٠ حالة يوميا . . يا لهول الفجيعة. . وياللكارثة. لقد كان الأولى بمن يردد الكلام كالببغاوات عن حالات التعدد ويتندر بها كان من الأولى له أن يجد حلا لمشكلة الطلاق وكيف نعالجها. وأى عاقل لم يجد أحسن من تشريع الله فى هذا المجال . عندما وضع الضوابط ورسم الطريق وبين بأسلوب واضح علاج هذه المشكلة. إن الطلاق كارثة رهيبة مخيفة . لها ما لها من آثار وكثرته تدل على أن الزواج تم بعيدا عن الدين وقيمه والأخلاق النبيلة. فهل لنا يا

قوم من عـودة إلى الدين ومنابعـه الصافية وأسـلوبه فى علاج المـشكلات . ونحن لا نطيل الحـديث عن الطلاق ولكنـه يشكل هو الآخر عنـوسة مقنعـة. . . لهذا أباح الله التعدد لرأب الصدع وطهـارة المجتمع والحفاظ على كرامـة المرأة التى رفع الله قدرها وأعلى مـنزلتهـا إذا هى تمسـكت بهدى الله ورسـوله . ودور المجـتمع هـو أن يضع التشريعات الملائمة .

دور الدولة

إن الدولة عندما أرادت أن تحارب البطالة وضعت نظامًا أسمته (صندوق التكافل الاجتماعـى) مهمة هذا الصندوق أنه يـساعد الشباب بمـبالغ مالية ؛ لعمـل مشروعات إنتاجـية، والغرض منه إيـجاد تنمية شـاملة لكل مرافق الإنـتاج، وبحيث يتـم تحويل الطاقـات المعطـلة إلى طاقات مـنتجة، واقـتداءً بهـذا وسيرًا عـلى منواله نرى إنـشاء (صندوق الزواج) والغرض منه دراسة مشكلة تـأخر الزواج والأسباب الداعية إلى ذلك ووضع حلول لهذه المشكلة ،وهذا الصندوق يتبـع السيد رئيس مجلس الوزراء مباشرة وهو رئيس اللجنة العليا لهذا الصندوق وأعضاؤه هم:

١ - السيد وزير العدل.

٢ - السيد وزير الأوقاف.

٣ - السيد وزير الشئون الاجتماعية.

٤- السيد وزير الصحة.

٥ - جميع رؤساء الجامعات داخل الجمهورية.

٦- الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

٧ - البابا شنودة بحكم الوضع الاجتماعى الدينى .

وهذا الصندوق يعمل فى محاور ثلاثة :

المـحور الأول: التوعية ، وتكون رئاسة هذا المـحور للإمام الأكبر شيخ الأزهر ويستعين بمن يراه، والأعضاء معه:

أ- وزير الأوقاف

ب - وزير الإعلام.



جـ - رئيس جامعة الأزهر.

د - المفتى.

هـ - البابا شنودة.

وهذا المحــور مهمته: التــوعية الشاملة فــى المساجد فى أندية الــشباب. . فى وسائل الإعلام، فى المصانع والاتحادات العمالية. . وكل ما من شأنه يكون فيه توعية ويستعين هذا المحور بمجموعة من الســيدات، عمداء الكليات النسائية لأن المرأة أقدر على مخاطبة بنات جنسها ونشر التوعية بهذه المشكلة. . المهم. . أن يقوم هذا المحور بالتوعية والكتابة حتى يعلم الناس مدى خطورة هذه المشكلة، وما هو العلاج، وكيف أن الأديان يسرت وسهلت الــزواج ولم تغال فى المهور ، لأنها تؤمن بأن الــمرأة قيمة عظيمة لاتباع ولا تشترى ، وأن الرسول ﷺ طلب من الرجل أن يبحث عن أى شيء يقدمه لخطيبته حتى ولو كان خاتما من حديد. . فلما لم يجد أمره بالزواج بحيث يعلّم زوجته ما معه من القرآن ، ولا مانع أن يكون المهر مــحو أميتها ، أو تعليمها حرفة. . المهم التيسير، وخاصة عند شراء العفش وعدم الإكثار منه وعدم شراء الأشياء بالتقسيط حتى لا يسبب إرهاقا ماديا يعوق مسيرة الزواج من أول يوم.

لقد قــيل لنا فى المثــل . .(إذا أرسلت فأرسل حكيــما ولا توصه) . وأســتاذنا الإمام الأكبــر هو الذى يضع المنهج والتــخطيط لهذا المــحور ولجميع أجنــحته، ومن حوله ينشرون هذا الفكر بعد الاتفاق على الخطوط العريضة للعمل فى هذا الميدان.

الـمـحـور الثـانـى : البحــث الاجتماعــى، ويتولى هذا الــمحور وزيرة الشــئون الاجتماعــية وتستعين فيــه بمن تراه. . بعد تصميم استــمارة للبحث الميدانــى لمعرفة الواقع الاجــتمــاعى وما يــحيط بالــفتــيات أو الشــباب من عــوائق . . وأعضــاء هذا المحور: .

١ - السيد وزيرالعدل.

٢ - السيد وزير الداخلية.

٣ - السيد وزير الصحة.

وعند دراسة المشــكلة من كافة نواحيها الاجــتماعية توضع النتــائج أمام اللجنة العليــا لتحدد مــاتراه من وضع العــلاج الذى تراه لحل هذه الــمشكلة. . كــما أن هذه اللجنة تستعين بالسادة:



١ - المحافظين

٢ -رؤساء المدن والقرى والأحياء.

٣ - رؤساء الجمعيات المسجلة بالشئون الاجتماعية.

٤ - المأذونين.

ومع أن هذه اللجنة ستقوم بدراسة العنوسة ودوافعها الاجتماعية، إلا أنها تقوم كذلك بدراسة أسباب الزواج الموقوف الذى تم فيه عقد القران ، وما هى المشاكل التى تؤدى إلى عدم إتمامه.. ثم ما هى الأسباب وراء حالات الطلاق سواء قبل الدخول أم بعده بأيام قليلة، أو فترات متباعدة، المهم أن تكون هناك دراسة مستفيضة حول هذه المشاكل ، والتى يتم تصميم استمارة لكل حالة على حدة، حتى تكون الدراسة وافية .

المحور الثالث : ويختص بدراسة المساكن، وما يدور فى فلكها ،ويتولى هذا المحور السيد وزير الإسكان ويساعده السادة:

١ - وزيرة البيئة.

٢ - وزيرة التنمية الريفية.

٣ - المحافظون كل فى موقعه.

وتختص هذه اللجنة بوضع تخطيط شامل وتصميم لمساكن العرسان الذى أرى من وجهة نظرى أن تكون من حجرتين وصالة - مطبخ وحمام.. ومساحة الشقة لا تزيد عن ١٠٠متر.. ويكون إيجارها يتناسب مع الدخل العام للعريس.. ولا ينظر إلى مرتب العروسة ؛ لأن ديننا يفرض على الزوج أن يقوم هو بالإنفاق ولا يطلب من زوجته أن تساعده أبدا حتى ولو كانت تمتلك مال قارون..ونحن نود أن نعيد الأمور إلى نصابها ونصحح الوضع المختل..وأن تدرس هذه اللجنة بناء مساكن أخرى تتكون الشقة فيها من ٣ غرف إلى ٤ بحيث تنقل الأسرة التى تزوجت فى مساكن العرسان وأنجبت أكثر من طفل إلى هذه المساكن بما يتلاءم مع دخلها، ويكون النقل إجباريا لأننا نريد أن نطبق مبدأ عزل البنات عن البنين فى غرف النوم، عملا بقول الرسول ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم فى المضاجع».**



وهذه نظرية تربويه فيها : الصيانة والحماية لبناتنا وشبابنا.

من أين...؟

وهنا يثـور سؤال بعد هذا العرض لـقد وضعنا محـاور للعلاج ومحاصـرة لهذه المشكلة، لكننا لـم نتكلم عن التمويل المالى وهو العصـب الرئيسى؛ لأن أى تخطيط بلا مال هو تخطيط فى الهواء ونقش على الماء ، مما يؤدى إلى الفشل وعدم الوصول إلى حلـول ، ولكننا نبـادر ونقول : لا . . إن الإسـلام وضع الحلول خـاصة التمـويل المالى. . . عـلما بأن السيـد رئيس الوزراء الذى سيرأس الـلجنة العليا لـلصندوق هو المسئول الـمالى أولا ؛ أى أن اللجنة المالية برئاسـته هو شخصيا وأول مبـدأ للتمويل المالى هو:

١ - **الـزكـاة** : لأن من بين المستحقين للزكـاة الفقراء : والفقير فى نظر الشارع الذى لا يملـك دارا للسكن. . والذى لا يـملك زوجة تعـفه. . والذى لا يمـلك مالا للنفقـة. . فالفقير يعـطى من مال الزكاة ما يكـفيه. . ويحقق له المـسكن الذى يأويه، والزوجة التى تعصمه. . والنفقة التى تكـفيه. . وقد سن هذا المذهب الفاروق عمر بن الخطاب رضـى الله عنه، كمـا روى أبو عبيـدة فى كتـاب «الأموال» ثم جاء مـن بعده الخليفـة الراشد عمر بن عبـد العزيز رضى الله عنه ، والذى كان يـنادى فى الناس كل يوم : أين الـمساكـين؟ اين الغارمـون؟ أين الناكـحون؟ أى أين الذين يـريدون الزواج ليعطيهم حـقهم من بيت المال، وقد استلهم هؤلاء مـن فعل رسول الله ﷺ وأقواله : فقـد روى الطبرانى أن رسـول ﷺ قال : «**إن الله فرض عـلى أغنياء الـمسلمـين فى أموالهم بقـدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهـد الفقراء إذا جاعوا وعـروا إلا بما يصنع أغنياؤهم ، ألا وإن الله يحاسـبهم حسابا شديدا ويعذبهـم عذابا أليما**» ونأخـذ من هذا الحديـث أن الزكاة التى فـرضها الله عـلى الأغنياء لو نـظمت وضبطـت تحقق كـفاية المحتـاجين وتؤمن للفقـير المسكن الصـالح والغذاء الصالح ، والكـسوة، والزوجة، والعلاج ، . . والدليل على ذلك ما قاله يحيى بن سعـيد: (بعثنى الخليفة عمر بن عبد العـزيز لجمع زكاة أفريقيـا ، فجبيتها ، وطـلبت فقراء نعطها لهـم، فلم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنـى عمر بن عبد العزيز الناس، فاشتريت بـها رقابا - أى عبيدا - فأعتـقتهم) - من سـيرة عمر بن عـبد العزيز لابـن عبد الحكم - والـرسول ﷺ قدم



المساعدة المالية الفورية لصحابى كان يخدمه وتزوج فقال لأصحابه: «**اجمعوا لأخيكم نـواة من ذهـب**» أخرجه الإمام أحمد .كما كـان ﷺ عند توزيعه الفيء الذى يأتيه كان يعطى (المـتزوج حظين) ويعـطى (العزب حظا واحدا) كـتاب الأموال لأبى عـبيدة. .
وروى الإمام مسلم أن رجلا جاء إلى النبـى ﷺ فقال: يا رسول الله إنى تزوجت امرأة من الأنصار، فقال عليه الصلاة والسلام: «**عن كم تزوجتها؟**» قال : على أربع أواق. فقال عليـه الصلاة والسلام : «**على أربع أواق؟ كأنـما تنحتون الفضـة من عرض هذا الجبل. ما عندنا ما نعطيك ولكن عـسى أن نبعثك بعثا تصيب منه**» وهذا التـصرف من نبى الإسلام يضع أمامنا علامة مضيئة على أن الدولة من خلال الصندوق تهتم بالرجال العزاب ، وتبعث بهم فى بعثات خارجية ليحققوا لأنفسهم النفع.

إننا لو نظمنا الزكاة أخذا وعطاء من خلال اللجان الـمنتشرة لقضينا على مشكلة الفقـر فى مجتمعـنا ،فمما يذكـره التاريخ أن عمـر بن عبد العزيز رضـى الله عنه كان يخصص للأعمى قائدا وللعاجز خادما ويجرى نفقتهم جميعا من بيت المال. . فتمويل الصندوق أولا من الزكاة، وأنا أثق تماما أن مال الزكاة سيسد جزءا كبيرا فى أمرين:

١ - المساعدة فى المهر.

٢ - المساعدة فى بناء المساكن.

إذا كنا قد تكلمنا عن الزكاة بأنها المورد المالى الأول لهذا الصندوق فإن المورد الثانى هو:

٢ - تبرعات الأغنياء : لاشك أن أغنياء المسلمين لهم متطلعات إلى رضاء الله، فهم يقدمون جزءا من أموالهم ابتغـاء مرضات الله، لأنهم يؤمنون بأن القرش فى ميدان الصدقة له عائد استثمارى عـليهم بما يعادل (٧٠٠٪) لقول الله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)** ﴾ [**البقرة**].

إن المسلمـين يقدمون قرضا إلى الله . . فـالله ينمى لهم هذا القرض بمـا يتفق ومصلحتهم وعائده بركة فى أموالهم وفى عيالهم، صحة فى أجسادهم، وتوفيق من الله لهم فى أعـمالهم. . ولقـد فتح الله تعالـى أبواب الإكرام والسخـاء والمنح الفيـاضة المغلقة أمـامهم يقول ربنا : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً (٢٤٥)** ﴾ [**البقرة**] .



إن المسلـمين الأغنياء يعلـمون أن القرش الواحد فـى ميدان الصدقة يـمنع شرا كثيرا، ويأتى بخير كـثير، لذلك نطالبهم ونرغبهم ونبين لهم أوجه الاسـتثمار الحقيقى فى ميدان الخير وهو فى مساعدة راغبى الزواج والإسهام فى حل مشكلاتهم وليتعاونوا معهم؛ لأن الله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه.

٣ - **أموال الحجاج**: هذا بند آخر نقدمه كاقتراح لأنه فى مصر لوحظ أن الأغنياء والذين عندهم قدرة مادية يقومون بأداء الحـج فى كل عام وأداء العمرة أكثر من مرة، ومما لا شك فيه أنهم يتفلتون من الضوابط التى وضعتها الدولة، حيث وضعت الدولة نظاما، أن من حـج مرة عليه أن يُفسح لأخـيه الذى لم يحج قبـل ذلك، وخاصة أن الزحام شديد . . وبدأت تحدث كوارث من وراء هذا الزحام . . والأمر يتطلب منا الآن أن يكون عندنا «فـقه الأولويات» . . أى أننا نرتب المـصالح كما نرتب المـشاكل، ثم ننظر فى عمل المصالح، وحل المشاكل، فنبدأ بحل المشاكل ثم عمل المصالح؛ لأن دفع المضار مقدم على جلب المصالح، وأنـا هنا أتقدم باقتراح لكل من حج مرة نقول له ما دمت قد أخـلصت النية وطيبت نفـقة حجك أو عمرتك، ولم تـرتكب إثما من رفث أو فسوق أو جدال، فاعلم أن الله تعالى قد تـقبل منك، وأسقط عنك الفريضة وكذلك العمرة. ومـن كان كذلك رجع من حجه أو عمرته كـيوم ولدته أمه، لا ذنب عليه ولا وزر، وقد أبدل الله سـيئاته حسنات ما دام أخلص فى الأداء والتـزم بما عاهد الله عليه ورد الحقوق لأصحابها.

ونحن لا نمنعك أن تكرر الحج والعمرة، فـهذا حقك وليس لنا أن نمنعك من العبادة، لكنى أقول لـك إذا كنت قد أسقطت الفرض عنك، فانظر إلى الحـجة الثانية كم تتكلف؟ أو العـمرة الرابعة كم تتكلـف؟ . . وضع هذا المبلغ الذى ستـتكلفه فى صندوق دعـم الزواج، وثق وأنت تـساهم فى هـذا المشـروع أنك تعـصم إنسـانا عن الخطأ، وتـسهم فى قيـام أسرة تحت راية الإسـلام، وفى ظل تعـاليمه، وسـتدخل السرور على فتاة هى فى حاجة إلى هذه المسـاعدة، ومن وراء ذلك ستسعد أسرتين قد يكون عدد أفرادهما أكـثر من مائة ولا شك أن ألسنتهم ستلهج بـالثناء عليك، والدعاء لك . . ودعوة المحتاج الـذى أغثته، إن شاء الله يقبلها ربنا بقـبول حسن، ويكتب لك



أجر الحجاج والعمار، ورحمة الله واسعة وهو ذو الفضل العظيم. . إن الله يبارك فى عمرك ويمد فى أجلك ويوسع لك فى رزقك ويمنحك الخير الكثير ويبعد عنك ميتة السوء، مصداق ما قاله الرسول ﷺ : **«من سره أن ينسأ له فى عمره ويوسع له فى رزقه ويبعد عنه ميتة السوء فليصل رحمه»** ، ولاشك أنك عندما تمنع نفسك عن الحج مرة أخرى وقدمت مالك مساهمة للقضاء على العنوسة ومحاربة العزوبية فأنت قمت بصلة الرحم. . فلقد دخل رجل على معاوية وقال له : يا أبا يزيد أسألك بحق الرحم التى بينى وبينك. . قال معاوية : أبينى وبينك رحم؟ قال: نعم ؟ قال: من أين؟ أمى من قبيلتك؟ قال الرجل : لا. . قال معاوية : أمك من قبيلتي؟ قال الرجل : لا. . قال معاوية : ابنتى تزوجت عندكم؟ قال الرجل : لا. . قال معاوية: ابنتك تزوجت عندنا؟ قال الرجل : لا. . قال معاوية : فأى رحم بينى وبينك؟ قال الرجل : أمنا حواء هى أمى وأمك، فنظر معاوية إلى جلسائه وقال :لقد سألنى بالرحم التى يجب أن توصل ولا تقطع.

ثم إن عبد الله بن المبارك (كان يحج فى كل عام مع رفقة له وأصدقاء اتفقوا سويا على ذلك، وفى عام اتفقوا على أن سفرهم للحج يوم كذا. . وحددوا لأنفسهم الموعد فى زمان معين وفى مكان معين، واجتمع الجمع ولم يحضر عبد الله ابن المبارك وسافروا هم وبقى عبد الله، يقول بعضهم: كنا ونحن نؤدى المناسك نرى عبد الله بشحمه ولحمه، فإذا أسرعنا إليه والتففنا حوله وجدناه شخصا آخر، وكنا نتعجب، ولما رجعنا من الحج ذهبنا بجمعنا إلى عبد الله وسألناه هل أديت الحج هذا العام؟ قال: لا. . فقصصنا عليه ما كنا نشاهده، فتعجب ودمعت عيناه، فقلنا له: ما الذى أخرك عنا؟ ولم لم تحج؟ قال: سأقص عليكم بالأمانة واكتموا عنى: فى الليلة قبل اليوم الذى تواعدنا فيه وأنا عائد من صلاة العشاء رأيت شبحا فى الظلمة يفتش فى نفايات المنطقة ، ولما اقتربت إذا بهذا الشبح يسرع الخطى أمامى وبدافع من الفضول تتبعت هذا الشبح حتى إذا دخل الدار تقدمت وطرقت الباب وإذا بأطفال يبكون بل وينادى بعضهم يا أماه أين الطعام؟ وإذا بالشبح الذى رأيته يظهر أمامى فى امرأة صاحبة الدار فقلت لها: ماذا أسمع؟ قالت : أولادى يطلبون منى الطعام. فقلت لها : وماذا كنت تفعلين عند النفايات؟ فسكتت، لكن الدموع غلبتها. .ولما كان أولادها يملأون الدار بالصياح قلت لها: تأذنين لى بالدخول؟ فأذنت ، فجلست خلف الباب، وقلت لها: بالله لاتكذبى على ، وقصِّى علىَّ حكايتك. . قالت: يا هذا أنا أم لستة



أولاد تراهم أمامك. . توفى زوجى منذ شهر، . . ولم يترك لنا شئيا وانتظرت إحسان المحسنين فلم يطرق على الباب أحد، ومنذ يومين نفد ما عندى من الطعام فكنت أعلل أولادى بالماء . . ولما اشتد بنا الجوع خرجت أبحث فى النفايات (أى الزبالة) فعثرت على بطة ميتة فجئت بها لأننى مضطرة، وقد أباح الله للمضطر أن يأكل الميتة. . فقلت لها: سبحان الله، ونحن جيران، ولا نعرف عنك أى شيء!! وأصدقكم الحديث أيها الأصدقاء أننى بكيت خوفا على نفسى من سؤال ربى لى يوم القيامة. . أما علمت يا عبد الله أن الحجة الثانية نفل؟ . وأن إطعام الجائع الفقير فرض؟ فكيف تترك الفرض وتؤدى النفل؟ فذهبت إلى بيتى وجئت بمالى الذى أعددته للحج وقدمته للمرأة لتشترى به ما يلزمها وقضيت ليلتى هذه وأنا سعيد جدا ؛لأن من ستر مسلما ستره الله. وكما جاء فى الحديث الذى تعرفونه : «إن الله يوم القيامة يقول للعبد: يا عبدى كنت جائعا فلم تطعمنى فيقول العبد : يارب كيف تجوع وأنت الغنى ؟ فيقول الله : جاع عبدى فلان ولو أطعمته لوجدت ذلك عندى اليوم . . يقول الرب : يا عبدى كنت عريانا فلم تكسنى؟ فيقول العبد : يا رب كيف أكسوك وأنت الستير المالك المالك؟ فيقول الله : عبدى فلان كان عريانا ولو كسوته لوجدت ذلك عندى اليوم. . لهذا فأنا سوف أنفق أموال حجى لمساعدة الفقراء واليتامى والأرامل، ويتقبل الله ما قمنا بأدائه من فرائض ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ** (١٣٣) **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** (١٣٤) ﴾ [**آل عمران**]. وقوله سبحانه: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** (٩٢) ﴾ [**آل عمران**]. وقوله سبحانه : ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** (١٥) **آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ** (١٦) **كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ** (١٧) **وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ** (١٨) **وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ** (١٩) ﴾ [**الذاريات**].

ومن هنا نقول لإخواننا الذين يحجون العام بعد العام : من الأفضل أن تساهموا فى محاصرة هذه الأزمة ، وأن تعملوا على بناء المساكن لإيواء هؤلاء، والتخفيف عنهم، وحتى يكون هناك:

١ - الاهتمام بتنمية الأسرة وبنائها على أسس قوية ودعائم متينة.

٢ - تذليل الصعاب أمام الشباب حتى يستطيعوا الوصول إلى زواج ميسر، وسكن مبسط وإنشاء أسرة قوية.



٣ - الحد من ظاهرة العنوسة والقضاء عليها حفاظا على المجتمع من آثارها السيئة ونتائجها الوخيمة.

إننا نؤمن إيمانا قويا بأن المال عصب الحياة.. وإذا تيسر للإنسان فإن كل عقدة ستحل؛ لأنه بالمال تذلل له الصعاب ويصل إلى غايته إن شاء الله وقديما قالوا:

إن الغنى إذا تكلم كاذبا ... قالوا: صدقت وأنطقوا ما قالا

أما الفقير إذا تكلم صادقا ... قالوا: كذبت وأبطلوا ما قالا

إن الدراهم فى المواطن كلها ... تكسوا الرجال مهابة وجلالا

فهى اللسان لمن أراد تكلما ... وهى السلاح لمن أراد قتالا

وقال آخر :

فصاحة حسان وحظ ابن مقلة ... وحكمة لقمان وزهد بن أدهم

إذا اجتمعت فى المرء والمرء مفلس ... ونودى عليه لا يباع بدرهم

إنه بالمال يمكن أن تكون هناك قواعد أهمها:

الزواج فى سن مبكرة حتى يكون الإنسان على درجة عالية من الخلق الكريم.. وغض البصر عن المحرمات .. فإذا كان هناك بعض العوائق استطعنا أن نفعل ما يأتى بالمال:

١ - إعداد ساحات رياضية .. وثقافية.. وترويحية لملء فراغ الشباب حتى نبعدهم عن المثيرات الجنسية بهذا الإسهام الاجتماعى الرياضى الثقافى.

٢ - تقوية الوازع الدينى عندهم عن طريق اللقاءات فى المساجد وأندية الشباب، وإقامة حوار مع القيادات لوصول المعلومة الصحيحة إلى الشباب والفتيات من خلال علماء الإسلام وعلماء علم الاجتماع وعلماء علم النفس.

٣ - التركيز على أن الشاب يتخير الأصدقاء الذين يكونون من وسطه الاجتماعى، ويتقاربون معه سنا وثقافة؛ لأن الصديق له تأثير على صاحبه.. وأن



نغرس فيهم أن الصحة والنشاط تؤديان إلى العيشة السعيدة والحياة الكريمة؛ لأن من حفظ شبابه، حفظت له شيخوخته،.. ولقد كان أحد الصحابة عَمَّر أكثر من (١٢٠ عاما) ولم يضعف بصره، ولم تسقط له سن ولم تقل خطاه، ولم تضعف شهيته عن الأكل ومعاشرة زوجته، فلما سئل عن ذلك قال: (هذه أعضاء حفظناها فى الصغر فحفظها الله علينا فى الكبر).

والإنسان لكى يحافظ على نفسه ويبتعد عن الانزلاق فى مهاوى الرذيلة فإن الدولة هى المسئولة عن مساعدته فى المهر وعن حل أزمة الإسكان .. نستأنس هنا بما جاء فى كتاب الأموال لأبى عبيدة قال: (زوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنه عاصما وأنفق عليه شهرا من مال الله) ومال الله هنا هو مال الزكاة . أو مال الدولة الذى جاء من الخراج (الضرائب الآن والجمارك) المهم أنه كان من مال الدولة، إننا نريد أن نصل بأنفسنا إلى حد القناعة حتى لا يتسرب الهم إلى نفوسنا، ويأتى الإنسان من الأفعال مالا يليق به اجتماعيا .. كأن يتسول ، أو يختلس ، أو يأخذ الرشوة ، لأن الإنسان إذا لم يشغل نفسه بالحق شغلته بالباطل ورحم الله الشافعى حينما قال:

لنقل الصخر من قنن الجبال ... أحب إلى من منن الرجال

يقول الناس كسب فيه عار ... فقلت العار فى ذل السؤال

إن الإنسان الشريف عندما يتلفت يمينا أو شمالا فيرى غيره من زملائه ورفقاء دراسته قد وصلوا إلى عمل وبدأوا يحققون أحلامهم ويبنون عش الزوجية وهو ما زال فى أول الطريق والسن يتقدم به، وليس هناك بصيص أمل ينير له الطريق، فإننا نقول له: كن كما أنت ثابت الجنان، مكتمل الشخصية، عزيز النفس، قوى الإرادة، فإن الدولة عينها عليك تفتح لك باب الأمل وتبسط لك يد الحب وتقول لك: لست وحدك فإن الدولة فى حاجة إليك ،ونحن نفتح لك نافذة الخير ونساهم معك فى تأسيس أسرتك وترسيخ قدمك لتكون عامل خير فى دولة ترعى أبناءها ولا تتخلى عنهم.

٤ - الرسوم: من الأشياء التى يتم تدعيم الصندوق بها رسوم تفرض بقوانين مثل:

١ - جنيه على كل قسيمة زواج.

٢ - جنيه على كل تذكرة طيران.



٣ - خمسة قروش على كل تذكرة قطار.

٤ - خمسة قروش على كل تذكرة أتوبيس النقل بين المحافظات.

٥ - خمسون قرشا على كل تذكرة مباراة لأى لعبة رياضية

ولا شك أن اللجنة العليا ستكون أمامها الساحة الميدانية أوسع ونظرتها أعمق، إلا أن هذه مقترحات أضعها للاسترشاد بها وهى ليست بملزمة؛ لأننى أومن بأن الشركات القابضة وشركات الطيران والبواخر وشركات البترول والمناجم والقطاع الخاص لو فقهوا فريضة الزكاة وأخرجوها (٢,٥٪) و ٢٠ ٪ فى حالة البترول والمناجم سوف تكون الحصيلة ضخمة إن شاء الله وستفى بالعلاج العاجل الناجع إن شاء الله.

٥ - **وزارة الأوقاف**: وزارة الأوقاف بها قسم (البر والخيرات) وهذا القسم يتقدم له بعض المواطنين بطلب ويرفقون به قسيمة الزواج ، وتقوم الوزارة بصرف مبالغ للطلب الواحد ما بين المائة إلى ثلاثمائة جنيه.. فإذا ما افترضنا أنه تقدم إليها فى العام الواحد أكثر من (٢٠٠٠) ألفى طلب فإنها تقوم بصرف مبلغ (٦٠٠٠٠٠) ستمائة ألف جنيه على الأقل.. ويمكن مضاعفة هذا المبلغ من قبل وزارة الأوقاف مساهمة منها فى حل مشكلة تعوق مسيرة الشباب ، فهى تقوم بإيداع هذا المبلغ فى الصندوق الذى يتولى كل شيء.

٦ - **وزارة الشئون الاجتماعية** : ولاشك أن وزارة الشئون الاجتماعية بها بعض البنود المالية للمساهمة فى مثل هذه الحالات ويمكن إضافة هذا المبلغ المخصص عندها فى أى باب من أبواب الميزانية إلى هذا الصندوق الذى نأمل له كل خير ؛ لأنه سيكون أهم حدث فى باب التكافل الاجتماعى.

أذكر...

أذكر بأنه كان فى الأربعينيات وما قبلها مشروع «مكافحة الحفاة» ثم تبعه مشروع القرش للمساهمة فى الكساء ،كما كان هناك أكثر من مشروع لمكافحة الثالوث الخطير الذى كان يهدد المجتمع وهو : (الفقر - الجهل - المرض).



فمصر إذن رائدة فى مكافحة أى وباء يطل برأسه على مجتمعنا . . ونكرر . . بأنه ليس هناك أخطر من الانحراف الجنسى الذى يكون نتيجة عجز فى إتمام زواج يقوم على أسس معينة وخاصة أننا نعلم ما يجرى فى المجتمع مثل :

١ - الزواج العرفى :

وهو زواج انتشر فى وسط الشباب لأنه كما قدمنا بسبب العقبات التى تقف حائلا أمام إتمام الزواج : من غلاء المهر، وعدم وجود السكن، . . فانتشرهذا الزواج، والقانون المصرى لا يعترف به، ولا تسمع دعواه فى المحاكم، وقد تورط فيه كثير من الشباب والضحية فيه الفتاة ،ومن هنا كانت الأسئلة التى تطرح نفسها على الساحة: هل يجوز ترقيع غشاء البكارة أم لا؟ وقد قلنا بأنه لا يجوز لأنه إذا تم ففيه خداع وتمويه على الزوج الذى قد يعرف بأمر زوجته، وبالتالى يثور لكرامته ويطلق زوجته بعد أن يشهر بها فى المجالس، علما بأن الزواج العرفى يتم دون إذن الولى، ونحن نعلم أن الزواج الذى يتم بدون إذن الولى باطل لقول الرسول ﷺ :«**أيما امرأة تزوجت دون إذن وليها فزواجها باطل فزواجها باطل فزواجها باطل**» . . لهذا كان الزواج العرفى باطلا لأنه تم بدون إذن الولى وفى السر، ومن المعلوم أن الله تعالى يقول: ﴿ **وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا** ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [**البقرة**] .

والخاسر فى هذه القضية الفتاة، لذلك نقول لها: احذرى وإياك أن تُخْدعى. . .

٢ - زواج المتعة :

وزواج المتعة كالزواج العرفى إلا أنه أسوأ من الزواج العرفى . . ذلك لأنه ارتباط رجل بامرأة لمدة يحددانها لقاء أجر معين، فهو إذن زواج موقوت بأجل غايته الإشباع الجنسى بدون رغبة فى إنجاب الولد، وزواج المتعة كالزواج العرفى لا نفقة فيه ولا ميراث فهو يخالف أحكام الزواج. .

وقد كان هذا الزواج معروفا فى الجاهلية وحرمه الإسلام، لأنه يندرج تحت قول الله تعالى : ﴿ **وَلا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ** ﴾ [**النساء**] .

وهذا يختص بالمرأة فهى لا تتخذ لها عشيقا ولا مخادنا بأجر؛ ذلك أن الإسلام حرم هذا ، وأباح الزواج الذى هو عقد متين وميثاق غليظ يقوم فى الأصل على نية



العشرة الدائمة من الطرفين لتحقيق ثمرته النفسية التى أوضحها القرآن من السكن النفسى والمودة والرحمة.. ثم يتحقق الهدف من الزواج بإنجاب الأولاد لتستمر الحياة فى سيرتها ببقاء النوع الإنسانى.

إن الرسول ﷺ يقول فيما رواه البخارى ومسلم: «**إنى كنت قد أذنت لكم فى الاستمتاع من النساء وإن الله قد حرم ذلك إلى يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيلها ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئا**». وكذلك ما رواه الإمامان البخارى ومسلم عن الإمام على رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه نهى عن متعة النساء وعن الحمر الأهلية يوم خيبر، وصدق الله العظيم القائل فى وصف المؤمنين: ﴿ **وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (5) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (6) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (7)** ﴾ [**المؤمنون**].

٣ - زواج الهبة:

زواج الهبة محرم.. ويجرى عليه حكم زواج المتعة والزواج العرفى. وقد أجمع الصحابة على تحريم هذه الأنكحة واعتبارها زنا، وهناك بعض الناس يرددون أن ابن عباس رضى الله عنهما أباح زواج المتعة وغيره ،لكن هذا افتراء على دين الله وبالتالى افتراء على ابن عباس رضى الله عنهما. فالدليل من القرآن واضح ومن السنة كذلك. والحِلّ والحرمة أمر يرجع فيه إلى المشرع الحكيم، وقد ورد عن ابن عباس رضى الله عنه قوله: (والله ما قلت إلا أن زواج المتعة محرم كحرمة الخمر والميتة ولحم الخنزير وهو زنا) ولقد سأل سعيد بن جبير رضى الله عنه ابن عباس رضى الله عنهما فقال له: ما هذه الفتوى التى سمعت الناس يتحدثون عنها؟، فقال ابن عباس ما يقولون؟ قال سعيد بن جبير: يقولون: إنك أبحت متعة النساء ، قال: لا .. والله ما قلت إلا أنها محرمة. وهناك بعض الشباب يغرر بالفتيات ويقول لها إن زواج المتعة حلال بدليل قول الله تعالى: ﴿ **فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ** ۚ (24) ﴾ [**النساء**]. وهذا الاستدلال فاسد ؛لأن الآية وردت فى سياق المحصنات من النساء وأن الإنسان ينشد من الزواج الفضيلة والعفة ؛لذلك فهو يبحث عن الإنسانة التى تتسم بالحصانة والعفة وأن يعطيها مهرها، ويوافق على ذلك ولى أمرها، وأن يشهد الشهود،ويعلن بضرب الدفوف، وكما قال الرسول ﷺ للسيدة عائشة لما زفت قريبتها إلى الأنصارى «**أهديتم الفتاة**» أى هل زففتموها؟ قالت: نعم، قال: «**أرسلتم معها من يغنى؟**» قالت: لا .. قال الرسول ﷺ «**إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها**

جارية تضـرب بالدف وتغنى» قالت: ماذا تقول فى غنائهـا؟ قال: أتيناكم أتيناكم لكى نحظى برؤياكم.. فحيونا نحيكم.. ولولا الحبة السمراء ما جئنا بواديكم»..

هذا لون من المرح أراده الرسول ﷺ فى المناسبات السارة، والمرح المباح هنا ضرب الدف، .. ثم هناك الوليمة التى تقام ابتهاجا وسرورا؛ لقول الرسول ﷺ لعلى ابن أبى طالب لمـا خطب السيدة فاطمـة الزهراء (لابد للعروس من وليـمة) وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن الـوليمـة فى العـرس واجبة وأن الإجابة إليهـا واجبة .. فقد قال أبو هريـرة رضى الله عنه (الولـيمة حـق وسنة فمـن دعى فلم يجـب فقد عـصى الله ورسوله) وكمـا روى عن عبد الرحمن بن عـوف أن النبى ﷺ قال له: «**أولـم ولـو بشاة**»، .. وعلى هذا الأساس نرى أن الإعلان والوليمة وضرب الدف والغناء والشهود هذه أمور نبه إليها الإسلام حفاظا على الأسرة من أن تهزها الشائعات أو تقوض أركانها الأقاويل.

الزواج بين الفرض والسنة

رغب الإسلام فى الـزواج ونبه إليه، قـال تعالى: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ...** ﴿٣٢﴾﴾ [النور] وعلى هذا الأساس ذهب الإمام ابن حزم وجماعة مـن علماء المسلمين إلى أن الزواج فرض لازم للمـسلم القادر فمن تركه أو تثاقل عنه بـدون عذر فهو آثم .. وذهب جماعة من العلمـاء بأنه سنة مؤكدة. وجاء فى حاشـية ابن عابدين يكون الـزواج حراما إذا تيقن الجـور والظلم.. هذه هى الآراء التى قيلت فى الزواج، ومع ذلك فإن الله سبحانه أخبر بأن الزواج يكون سببا من أسباب الرزق، كمـا أنه يكون سببا للغنى، يقول الله تعـالى فى معرض هذا: ﴿ **إِن**  **يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴿٣٢﴾﴾ [النور]. وكما روى الإمام أحمد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة حق على الله تعالى عونـهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتـب يريد الأداء، والغازى فى سـبيل الله**» وروى عن سيدنا جـابر (أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ يـشكو الفاقة (الـفقر) فأمـره ﷺ أن يتزوج) وعن أبى حاتـم أن أبا بكر الصديق قال (أطيعوا الله فيما أمركـم به من النكاح ينجز لكم وعدكم من الغنى) وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**التمسوا الرزق فى النكاح**».

العجز

إذا عجز الإنسان عن الزواج لأى أمر من الأمور فإن الله سبحانه وتعالى أمره بالعفة سواء أكان ذكرا أم أنثى ، وقد جاء ذلك صريحا فى قوله الله : ﴿ **وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ...** ﴿٣٣﴾ ﴾ [النور] .

فالعفة أمر واجب، ولكى نصل إلى العفة علينا أن نهذب أنفسنا ونقوى إيماننا وأن نقيم رقابة ذاتية من أنفسنا على أنفسنا، وفى سبيل هذا وجه الرسول ﷺ الشباب من الجنسين إلى أنه فى حالة العجز المالى أو عدم القدرة على إتمام الزواج لأى سبب من الأسباب فعلينا أن نكثر من الصيام لأنه تهذيب للنفس وإيقاظ للضمير وسد لمنافذ الشيطان ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء**».

ولنضرب مثلا للشباب المسلم بسيدنا يوسف عليه السلام، وهو الشاب المكتمل الرجولة وقد هيئت له أسباب ارتكاب الفاحشة وأغرته المرأة بكل ما تملك من أسباب الإغراء واستعملت كل أسلحتها: المكر والدهاء والتصنع والتميع، ومع ذلك وقف يوسف كالطود الشامخ لم يغره ذلك بل قال للمرأة : أخون من أحسن إلىَّ. وأخون من أكرمنى وربانى ﴿ **مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴿٢٣﴾ ﴾ [**يوسف**] .

وقبل يوسف عليه السلام أن يدخل السجن وهو مظلوم وقال: ﴿ **رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [**يوسف**] .

لقد انتصر الإيمان وانتصرت الفضيلة. وأصبح يوسف عليه السلام مثلا يحتذى، وقدوة للشباب المؤمن التقى النقى.

نموذج آخر

قد يقول قائل بأن يوسف نبى وهو معصوم؛ لأن الأنبياء لهم عصمة ، ونقول لهم هذا نموذج آخر لامرأة فى عهد خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تزوجت، وبعد أقل من سبعة أيام معها سافر زوجها إلى الجهاد فتأججت فيها نار الغريزة، وثار

فى عروقها دم الأنوثـة، فمن الذى يصدها عن ارتكاب الحرام؟! إنه الإيمـان والمراقبة لله !! سمع عمر فى جنح الليل امرأة تغنى وتقول :

لقـد طال هذا الليـل واسود جانـبه وأرّقـنى أن لا حـبيـب ألاعـبـه

والله لـولا الله تخـشـى عـواقـبـه لحـرك مـن هذا الـسريـر جـوانبـه

ولما استطلع عمر حقيقة أمرها أرسـل إلى ابنته حفصة أم المؤمنين وقال لها : كم تصبر الزوجة علـى غياب زوجها؟ قالت: أربعة أشهر، فأرسل الـخليفة الراشد إلى قواده فى جبهات القتال يأمرهم أن لا يحبسوا جنديا عن أهله أكثر من أربعة أشهر. .

وقد سقـت ذلك لأبين أن البعض لايـريد أن ينفق من مال الزكـاة على التيـسير للعزاب بالزواج، ولكن ما سـقناه فيه الكفاية ، وخاصة أننا فى زمـن كل ما أمام أعيننا يحرك الغرائز ويدفع إلى الفاحشة ؛ لأنك إذا حـركت المذياع فإنك تفاجأ بتلك الأغانى التى تلهب العواطف، من أمثال تلك التى تقول بعض كلماتها: (يا حبيبى تعالى وكفاية اللى فاتنا هو فـاتنا ياحبيب الروح شوية) أو تـستمع إلى من تتلوى فى أغانـيها وتقول (حبيبى أهوه) أو تسـمع من تغنى وتقول فى حركات مائعة : (مـين قال لك تسكن فى حارتنـا . . تشغلنـا وتقل راحتنـاياتشوف لك حـل فى حكايتنـا . . يا تعزل وتسـيب حتتنا . . يجى أبويا يعوز قهوة أعمله شاى وأديه لأمى . . وخيالك يجى على سهوة . . مفرقش ما بين خالتى وعمى) .

هذا نموذج مما يُصب فى أذن الشباب .

ثم ننتـقل إلى التليـفزيون فنرى ٨٠٪ من الإرسـال أغانى (فيديـو كليب) أى أغانى مع الرقص، وللأسـف نصف بطن الفتاة عارية وهى ترقـص ونفس الأغانى التى تقـال فى الإذاعة هى الـتى تقال فـى التليـفزيون ويـزاد عليهـا الرقص. . ناهـيك عن التـمثيـليات والمـسرحيـات : (هوانم جـاردن سيتـى) « العيال كـبرت » « مـدرسة المشاغبين » إلى غـير ذلك مما لا يسر ،فإذا انتقلنا إلى الأفلام فـإن حالها يغم ، لقاء على السرير ، وهجر ، ولجوء البطل إلى شرب الخمر ، وتدخين السجائر ، إلى غير ذلك مما نراه ونسمعه، ولابد أن نكون صرحاء مع أنفسنا إلى أين يذهب الشباب ؟ إلى الشارع حيث الـنساء كاسيات عاريات تـفوح منهن رائحة الوجوه والأظافـر والعيون ، علاوة على الـكعب العالى ، فـهل نقول للشاب اغـمض عينيك وامـش فى الشارع ؟



لاشك أن سيارة ستحطمه ، وهل يرضى الإسلام بهذا ؟ لا . . إذن ماذا يفعل الشاب أمام كل هذه الإغراءات ؟ أضف إلى ذلك ما بأفيشات الأفلام والدعاية للمسرحيات والتمثيليات من مناظر مخلة للآداب العامة والتى تجرح شعور الشاب المتدين وتسىء فى نفس الوقت للفتاة أيا كان وضعها . . أنكون كمن قال فيهم الشاعر :

ألقاه فى اليم مكتوفا وقال له إياك .. إياك أن تبتل بالماء

إننى دائما أقول للشباب فى أى لقاء : (أنا لا ألوم أهل الباطل على تحركهم . . لكننى ألوم أهل الحق على تخاذلهم) .

إنها قضية يجب أن نتصدى لها بالعمل السريع والإيجابية؛ لأن الله قال لنا : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ** ﴿٨٤﴾ ﴾ [الإسراء] ونحن فى مجتمع مفتوح على العالم وسماؤه مفتوحة تبث ما تحمله الأقمار الصناعية ، ونحن لا نريد أن ننغلق وأن نقف مكتوفى الأيدى؛ فلنعمل معًا على تحصين شبابنا والتيسير لزواج فتياتنا . . وعندئذ ننشئ أسرا مفتوحة على العالم لكنها محصنة بالأخلاق تعرف أن مفتاح التليفزيون فى يدها والراديو كذلك ، وعندها إذاعة القرآن الكريم ونشرات الأخبار والتعليقات والتحليلات السياسية، فهى إذن تعايش الواقع ولكن برشد وعقل متزن وفكر مفتوح . . وتعالوا بنا يا قوم نضع اللبنة الأولى فى هذا الوقت لفتح «صندوق تيسير الزواج» وأن نسهم فيه بكل ما لدينا من قدرات، ويد الله مع الجماعة؛ لأننا نعمل فى ظل الشرعية الدستورية، والفكر المعتدل ، الذى يعمل على حماية الدولة وصيانتها من عبث العابثين والحفاظ على شبابنا وشاباتنا بالمساهمة فى بناء أسرة سعيدة قوية متماسكة تنجب لنا أطفالا يتسمون بالذكاء، ونبل الأخلاق وسعة الأفق ، والقدرة على التحصيل العلمى، وتجويد الصنعة، وتحسين الأداء والابتكار لينهض المجتمع بيد أبنائه . ويومئذ يفرح المؤمنون ويرددون ﴿ **رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا** ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان] .

إن المجتمع أمانة الله الغالية ، يعيش بداخلنا ، فعلينا أن نحمى ترابه من أى هزة تؤثر فيه، وأن نحمى حدوده من أى معتد أثيم ،وأن نصلح أرضه،و نغرس الشجر، ونزرع ليكون لنا الإنتاج الوفير؛ لنعيش أحرارا ، نملك إرادتنا، ولا سلطان

لأحد علينا، وولاؤنا لله الواحد الذى بيده الأمر، وهو المعين، القائل: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾** ﴾ [**الطلاق**] .

علاج غير ناجح ...

إذا كان الحق سبحانه وتعالى رغبنا فى الزواج لأنه علاج عظيم وشفاء لكثير من الأمراض، ورسم لنا رسول الله ﷺ الطريق الصحيح الـذى نمشى فيه ونسير على هداه فإن السعادة تتحقق لكل فرد يمشى فى هذا الطريق ، ويسير على هداه.

ويلاحظ أن الطريق المستقيم يقابله دائما طريق معوج، وأن الأسلوب الحسن لمعالجة المشاكل يقابله أسلوب سيئ فى معالجة المشاكل، وأن كل إنسان منا له أسلوبه ، وله طريقته ، وقد قال لنا ربنا : ﴿ **قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلاً ﴿٨٤﴾** ﴾ [**الإسراء**] .

والطريق المعوج، والأسلوب السيئ لمعالجة مشكلة العوانس والعزاب . . ومن فاتهم قطار الزواج والذين يبحثون عن شقة هو السير فى طريق كله حفر، ولا يؤدى إلى السلامة . . ذلك هو ما يقوله بعض الناس : بأن (فلانة) معمول لها عمل. وأن باب الشقة محطوط تحت عتبته (رباط) ، وهنا يتجه الفكر إلى الدجالين والمشعوذين وتبدأ رحلة العذاب التى لا نهاية لها. . ومن المعلوم أن الدجل والسحر وقراءة الفنجان وضرب الودع وتبييت الأثر، إلى غير ذلك من الأمور التى نسمع عنها كلها كلام لا أصل له، ولا نتيجة من وراء المشى فى هذا الطريق، وحل الأمور بهذه الطريق ؛ لأن الجان خلق من خلق الله. . وقد وضع الله لهم نظما وقوانين لو اخترقوها لاحترقوا، وإذا سخرهم بعض الناس فإن أحسن الطريق للعلاج هو أن نحسن علاقتنا بالله القائل : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴿١٠٢﴾** ﴾ [**البقرة**] .



فالجن الذى يستعين به بعض الناس - كما يزعمون - أضعف من الضعف ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴿٧٦﴾ ﴾ [**النساء**]. والجن عندما طرده الله مــن رحمته لأنه تكبَّر وزعم أنــه أفضل من آدم عليه الســلام، وقال لله سبحانــه إن آدم وأولاده سأعمل على إضلالهم وســأتولى إفسادهم ﴿ **وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ** ﴿١٧﴾ ﴾ [**الأعراف**] . لكن الحق سبحانه وهو العظيم القادر القوى المقتدر قال للشيطان الرجيم: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [**الحجر**] .

وقد أكد الــشيطان على ذلك بأنه ســيغرى الناس ويفــسد العلاقة الوديــة بينهم، ويوقد نار الــحقد فى مجــتمعهم ، لــكن . . هناك فئة لا يــستطيع أبدا أن يقــترب من ساحتها . . إنهم الفئة المؤمنة . . المعتمدون على الله والمتوكلون عليه سبحانه وحده . . ومن هنا نعرف أن الشيطان يعلم الناس السحر . . السحر لا حقيقة له، فقد قال الله فى حق سحرة فرعون عندما ألقــوا حبالهم وعصيهم: ﴿ **يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ** ﴿٦٦﴾ ﴾ [**طه**] . إذن ليست هناك حقــيقة وإنما هو خيال وتوهم مــن الإنسان عندما تتسلط عليه بعض العناصر من الإنس يوهمونه بــأنه مسحور ومعمول له عمل، وأحيانا يقول بأن الــعمل معلق عــلى شجرة ،ومادام الــهواء يحركهــا فلن تتزوج الفــتاة أبدا، وأحيانا يــقولون لأهل الفتاة : مــكتوب على عظم ميت . . إلــى آخر ما يقوله الخــبثاء الذين يستغلون سذاجة الناس الطيبين، ويبتزون أموالهم ويضحكون عليهم بمثل قولهم: الفتاة مكتوب لها على قرموط سمك . . والجــن يحتاج إلى حفلة زار، وحتى يستجيب الجن لنا لابد أن نذبح هدهدا يتيما . . أو كبــشا أرمل، أو عجل بقر هجرته زوجته . . وهنا يقــع الناس السذج فى حــيرة وتشتت كــيف يأتون بالهــدهد اليتيــم . . أو الكبش الأرمل أو العجل المهجــور . . فيقول لهم الخبثاء : لا عليكــم . . الجان سوف يتولى كل شيء لــكن كل عمــل يقابلــه أجر فعلــيكم أن تدفــعوا ، وتحت ضــغط الحــاجة والأعصاب المتوترة، والحالة النفسيــة ، يدفع هؤلاء البسطاء السذج كل ما لديهم، بل قد يبيعــون الأمتعة المنزلية وهم فى حــاجة إليها، ويحرمون أنفــسهم من كل شىء فى سبيل إرضاء السادة (العفاريت) . . وكم مــن أسر ضاعت ، وشرف أهدر وفتيات ضاع



شرفهن، وأهدرت كرامتهن، لكن الخبثاء يقولون : (رزق الهبل على المجانين) إن الجن لو استطاع أن يخفف عن غيره شيئا لخفف عن نفسه أيام سيدنا سليمان عليه السلام الذى سخره الله تعالى له فى شق الترع وحفر البحار، ومات سليمان عليه السلام والجن يعمل فى عمل شاق دون أن يعلموا. قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾** ﴾ [**سبأ**] لذلك نهيب بكل أسرة أن لا تصدق أى شىء عن الجن، ولا تؤمن بالزار، ولا تتبع خطوات الشيطان، ، وإنما عليكم أن تعملوا على تقوية الإيمان فى قلوبكم وأن تثقوا بأن الشيطان لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وبالتالى لغيره.. فالنافع هو الله ﴿ **الَّذى خَلَقَنى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذى هُوَ يُطْعِمُنى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذى يُمِيتُنى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذى أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيئَتِى يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾** ﴾ [**الشعراء**] . إن الطالع الذى يقرأه الإنسان فى الجرائد كل يوم تحت بختك ، وقراءة الفنجان، وتبييت الأثر، وغير ذلك ، وحفلات الزار ، كل هذه أشياء توتر الأعصاب، وتتعب الأجسام، وتسلب الأموال، ولا تؤدى إلى علاج، . . لهذا كان لزاما علينا أن ننبه إلى أن الطريق الصحيح الموصل إلى العلاج السليم هو حسن الثقة فى الله والاعتماد عليه والثقة فى النفس. والآن وقد بينا الداء وشخَّصنا الدواء. . وعلينا أن نعتمد على الله . . وكما حاربنا فى مشروع الحفاة. . والجهل والفقر والمرض. . علينا أن نتصدى بحسم لتحجيم كل مشكلة وننادى بأعلى أصواتنا أن من يمن المرأة وحسن طالعها أن يكون مهرها قليلا . . وإن من يمن طالع الرجل أن يتزوج ببنات جنسه، ويبتعد عن زواج الأجنبيات، وأن يقوم صندوق الزواج المقترح تشكيله ببناء المساكن الاقتصادية وأن كل واحد يعرف ما له وما عليه . . وأن نتعاون بصدق وإخلاص لرسم خطة منظمة للقضاء على مشكة العوانس، سائلين الله أن يأخذ بأيدينا إلى طريق الخير، . . وأن يهدينا سواء السبيل ، وأن يكون عوننا فى كل ما نقدم عليه من عمل يكون فيه سعادة الفرد والجماعة ضارعين إلى الله سبحانه ﴿ **رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾** ﴾ [**الحشر**] .



« التمائم والأحجبة »

إن انقياد بعض الأسر لهؤلاء الجهلة الذين يبتزون أموالهم ويجعلهم يتبعون أوامرهم فهم يكتبون لهم بعض الأوراق بألفاظ لا تقرأ ويزعمون أنها من الجن، ويأمرونهم أن يعلقونها تحت إبطهم ؛ لأن هذا الحجاب يجلب المحبة، ويأتى بالخطّاب ، وتنقاد الفتاة وأهلها لتعليق هذا الحجاب تحت الإبط، أو تحت المخدة أو فى حفرة على عتبة الدار، أو يكتبون لهم كتابات ويأمرونهم بمحوها بماء الورد، ورشها على عتبة دار فلان، أو فى طريقه بحيث يخطيها؛ لأن ذلك سيجعله يأتى مسرعا يخطب الفتاة. . وتمضى الأيام ولا يتم أى شىء كما قال الشاعر:

جعلت لعراف اليمامة حكمه	**وعراف نجد أن هما شفيان**
فقالا نعم نشفى من الداء كله	**وظلا مع العواد يبتدرانى**
فما تركا من رقية يعرفانها	**ولا سلوة إلا وقد سقيانى**

فالشاعر هنا يقول بأن عراف اليمامة وعراف نجد أخذا أمواله وسقياه كل شيء ولم يتم أى شيء . . لذلك نقول وننبه إلى أن الرسول ﷺ قال : «**من علق تميمة فلا أتم الله له**» . ويقول: «**من ذهب إلى كاهن أو عراف فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة أربعين يوما**» وفى رواية أخرى : «**فقد كفر بما أنزل على محمد**» لهذا نحن نحذر الناس ونقول لهم. . اعلموا أن الدجالين ليس لديهم قدرة على أى شيء إلا أخذ أموالكم فتنبهوا لهذا واعلموا أن «العنوسة» لها علاج مؤسس على العلم والمعرفة الحقة فتعالوا بنا نضع العلاج الصحيح لنبنى أمتنا الإسلامية على هدى من كتاب الله وسنة رسوله ، وحتى نكون كما قال عنا ربنا :﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** (١١٠) ﴾ [**آل عمران**].

العلاج ...

إن العفاريت والجان لا يملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا، كذلك كل دجال فى ميدان الكتابة بالحب والكره، أو فك العمل، أو جلب الرزق، أو إبعاد النحس عن الشخص . . كل هؤلاء لا يعرفون أى شيء وهم دجالون كذابون أفاكون . . لكن العلاج الصحيح الذى نوصى به وندعو إليه ونعلن أنه أحسن طريق للعلاج يتلخص فى :

١ - الثقة فى الله . . والاعتماد عليه . . وتفويض الأمر له . . مع الإيمان القوى بأنه لا يقـع شيء فى ملك الله إلا بإذنه ولـن يصيب الإنسـان أى شيء إلا بإرادة الله . وصدق الله العظيم : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى الأَرْضِ وَلا فِى أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا** ﴾ [**الحديد**] .

كذلك ما قاله الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنه حيث يقول: «كنت رديف النبى ﷺ فقال: «**يا غلام.. أو يا غليم.. ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت بلى يا رسول الله ، فـقال : أحفظ الله يـحفظك. احفظ الله تـجده أمامك ، تعـرف إلى الله فى الرخاء يـعرفك فى الشـدة. وإذا سألت فاسـأل الله، وإذا استعنت فـاستعن بـالله قد جف القلم بما هـو كائن.. فلو أن الخلق كلهم جمـيعا أرادوا أن ينفعوك بشـىء لم يقضه الله عليك لـم يقدروا عليـه، واعلم أن فى الصـبر على ما تـكره خيرا كـثيرا وأن النـصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا**» هكذا يكون الإيمان بالله . . التفويض التام . . والرضا بما يصيب الإنسان . . عدم اليأس مهما كانت الأسباب . . لأن الصبر على ما قدر الله ضياء ونور ، ولا شك أن الفرج يأتى بعد الصبر والتفويض .

٢ - الأخذ بالأسباب لحل الـمشاكل بالطريق الصحيح والأسالـيب المشروعة ، لأنه من يتوكل على الله ويأخذ بالأسباب يفرج الله كربه ويزيل همه وصدق الله العظيم ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ﴿٣﴾** ﴾ [**الطلاق**] .

٣ - أن يثق الإنسان فى نفسه وفى قدراته على حل مشاكله . . وأن يستعين بأهل العلم والثقة الذين لا يمدون أيديهم ولا يأخـذون مقابل نصحهم أى شىء . . وعند ما تثق فى نفـسك تدرك أنك لست وحدك فى المـيدان . . فمعك الله وأنعـم به من قوى عظـيم نـاصـر وصـدق الله إذ يقـول: ﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٥١﴾** ﴾ [**غافر**] كما أن الله سبحانه يعاونك ويساعدك بأن يبعث إليك بالملائكة تؤيدك وتشد أزرك وتوجـهك إلى الطريق الصحيح - مـا دمت وثقت فى الله - ووثقت فى نفسك - وسرت فى الطريق الصحيح - وإلى هذا أشار الحق سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ**

الَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِى الآخِرَةِ ﴿٣١﴾ ﴾ [**فصلت**] .

٤ - لو فعلت ذلك يـا أخى بصدق وإخلاص وآمنت إيمانا قـويا بأن الدجال لو استطاع أن يخدمك لخدم نفسه أولا ، لكن ثـبت من التجربة والواقع أن الدجال يعانى

من المرض النفسى والتمزق الفكرى والاهتزاز العصبى ما يجعلنا نؤمن أنه فى حاجة إلى من يعالجه، فكيف يعالجك أنت وهو مريض فى حاجة إلى علاج. وصدق شوقى إذ يقول لأمثاله:

تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ... كى ما يصح به وأنت سقيم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

ولكن ماذا نصنع مع هذه النفوس المريضة ؟ علينا أن نبتعد عنها ونعلم أن هذا الشخص الدجال هو من أعوان الشيطان الذى يتسلط علينا ويريد أن يغوينا ويضلنا عن طريق الإنس، واسمع معى إلى ما قاله الله وهو يتكلم عن أعوان الجن فيقول سبحانه: ﴿ **وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا** ﴿٦﴾ ﴾ [**الجن**] أى أن الجن أتعبوا مواليهم من الإنس وأرّقوا حياتهم وشتتوا فكرهم وأتعبوهم تعبا شديدا.. لكن ماذا نفعل ؟ والدجال يجد فريسته من إخوانه البلهاء الذين عندهم أمية دينية، ويصدقون بأن الدجال سوف يأتيهم بلبن النملة، والهدهد اليتيم.. لهذا نحذر من المشى مع الدجالين ونقول لهم اقرأوا قول الله: ﴿ **وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ** ﴿١٢٨﴾ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴿١٢٩﴾ ﴾ [**الأنعام**] فالدجال الذى كسب أموال البسطاء والذين يبحثون عن العلاج وفك الرباط وإتلاف ما كتب على أوراق الشجر، وعظم الأموات، سيحاسبون حسابا عسيرا ولهم عذاب أليم لأنهم استمتعوا بالجن وبما اكتسبوه من الأموال.

وهل الجن تتسلط علينا...؟

الجن من أضعف خلق الله، بدليل قول الله تعالى: ﴿ **إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا** ﴿٧٦﴾ ﴾ [**النساء**] والجن أو الشيطان أو المارد كلها أسماء لمسمى واحد لا تستطيع أبدا أن تتسلط على المؤمن قوى الإيمان؛ لأن الشيطان عندما طرده الله من رحمته بعد أن عصى أمره قال الشيطان لله تعالى: ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ** ﴿٨٢﴾ **إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص]. والحق سبحانه قال له.. قول حق وصدق لا يستطيع شيطان ولاجن ولا عفريت ولا مارد أن يتخطاه وإلا لحرقه الله فى الدنيا بقدرته، ولكن ماذا قال الله لإبليس اللعين أبى الأبالسة جميعا، قال الله له: ﴿ **إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [**الحجر**] ولقد



حذرنا الله من الشيطان وأفعاله فقلا: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف] ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾ [فاطر].

إن الشيطان لو كان يملك لنفسه شيئا لتمرد على سيدنا سليمان وهو الذى سخرهم فى الأعمال الشاقة وأذلهم وكلفهم بمالا يطيقون ولم يستطيعوا أن يتمردوا عليه، بل إن ربنا سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ ﴾ [سبأ]. كما يتبين لنا أن الجن لا تقدر على شيء بدليل أن سيدنا سليمان وهو ببلاد الشام جمع الإنس والجن وطرح عليهم سؤالا ملخصه «من يأتينى بعرش بلقيس قبل أن تأتى إلى مسلمة ؟» فوقف عفريت من الجن وقال.. أنا آتيك بهذا العرش قبل أن تقوم من مقامك.. وكان مقام سيدنا سليمان نحدده الآن بأكثر من عشر ساعات.. لكن سيدنا سليمان قال هذا كثير .. هل هناك أحد يقدر غير ذلك؟ فسكت الجن ولم يتكلموا ، فهذا دليل على ضعفهم وعجزهم.. ووقف واحد من البشر عنده علم الكتاب ومعرفة باسم الله الأعظم لأنه مؤمن قوى الإيمان ربانى النزعة عنده ثقة فى نفسه بأنه يعرف أنه على الحق يقيم العدل يؤدى ما عليه بدقة حافظ للأمانة والعهد صادق الوعد وقال لسليمان : أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن يرتد إليك طرفك وبلغة عصرنا أقل من خمس دقائق.. أعرفت قدرة الجن وقدرة البشر المؤمن الواثق فى الله.. ولك أن تقرأ ذلك فى سورة النمل الآيات ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ لتعرف أنك إن وثقت بربك وأخلصت فى عملك وأديت ما عليك من حقوق لله وللناس وللمجتمع فأنت أقوى من الشيطان ولا يؤثر فيك فعله وكيده ..

ونختم ذلك بأن نقرأ ما قاله ربنا فى سورة البقرة وهو يبين لنا أن تعلم السحر كفر وأن السحرة ليس فى مقدورهم شيء ولا يستطيعون أبدا أن يغيروا نظام الكون وإلا لكنا استعنا بهم فى قتالنا مع اليهود أو سلطناهم على أهل الصرب الذين يذبحون المسلمين ويعتدون على أعراضهم، أو سلطناهم على الهند الذين احتلوا كشمير المسلمة ثم يهدمون المساجد على رؤوس المسلمين، لكن كل ذلك لم يكن.. مما يدل على أن الجن لهم نظام معين وقانون لا يستطيعون أبدا أن يتخطوه؛ لأن الله وضع



لكل شيء نظاما ولو كان الدجالون يعرفون شيئا لتسلطوا على البنوك فأخذوا أموالها أو خزائن الأغنياء فاستولوا على مجوهراتهم، وحيث لم يتم ذلك ولم يقدروا ولن يستطيعوا أبدا دل ذلك على فشلهم وهم يستعملون أسلوبهم للضحك على السذج من البشر. يقول الحق سبحانه: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ** ﴿١٠٢﴾ ﴾ [البقرة].

إننا نعلن بأن السحرة كفرة وليس للسحر تأثير في المؤمن لما قال ربنا عن موسى عندما اجتمع عليه السحرة ورموا بحبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، وخيل لموسى أن العصى والحبال تتحرك أمام عينيه وهو تخيل لا حقيقة له وتسرب الخوف إلى نفسه فقال الله له: لا تخفف لأن ما صنعوه سحر ولا يفلح الساحر بأى فعل يفعله؛ لأن الله يبطل هذا الفعل بقدرته وإرادته. واقرأ فى هذا ما قاله ربنا فى سورة طه من الأية ٥٦ إلى الآية ٧٦ وسوف تجد التصوير الرائع على أن عمل السحر يبطل بقوة الإيمان والثقة فى النفس والاعتماد على الله.

فإلى كل أخت فاتها قطار الزواج نقول لها لا تيأسى من رحمة الله، وثقى فى نفسك ، ولا تفرطى فى شخصيتك ،واعلمى أن ما كان لك سوف يأتيك، والجئى إلى الله دائما وصلى صلاة الحاجة (أى حاجتك إلى الله) واطلبى منه سبحانه أن يساعدك وأن يكون عونك واعلمى أنك لا تعرفين الخير أين هو؛ لأن الرسول ﷺ يقول : «**لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع**» واحذرى من المرأة التى تهمس فى أذنك وتقول لك الشيخ فلان سره باتع دا عمل عمل لبنت فلانة تزوجت بعد أسبوع، فهذه المرأة هى جاسوسة له عليك تتسلط على أذنك وتزيد فى كلامها وتعيد لتأخذ بيدك إلى الدجال، وهناك قد يهتك عرضك، ويهدر شرفك ويبتز أموالك،وتكونى أنت التى جنيت على نفسك .

والعلاج هو محو الأمية الدينية فى مجتمع النساء خاصة، هذه القضية المتعلقة بالعنوسة لأن كل فتاة أسعد أيامها يوم أن تزف إلى بيت زوجها، ولكن علينا أن نسعى لإتمام ذلك فى ظل الشريعة والقيم الدينية والأدب الاجتماعى والخلق الفاضل.



وختاما

فالحمد لله الذى رغبنا فى الزواج وجعله من سنن المرسلين . ومن أعرض عنه خالف هدى الأنبيـاء وجانبه الصواب . هذا ، وإذا كانت العنوسـة الآن ليست بظاهرة إلا أن بوادر فى الأفق بدأت تظهر . والإحصائيات تـشير إلى الزيادة سنة بعد أخرى . لذلك على الآباء أن يـهتموا بدراسة البـوادر ويضعوا الحلول، وهى مـيسرة ، من الآن قبل أن تستفحل . ولاشك أن علاج المشكلة سهل وميسر ونستطيع القضاء على بوادر هذه المشكلة . ونحن نعلم وندرك تماما أن الشبـاب مضغوط عليه وأن أعصابه متوترة لما يراه فى الشارع من كرنفال الملابس ويراه علـى الوجوه من مساحيق . ثم ما يقدمه التلفاز من أفلام ومسـلسلات ومسرحيات وتمثيليـات . وأغان . وإعلانات . وغير ذلك مما له تأثير مـباشر ؛ الأمر الذى سهل له الزواج العرفى والسرى والمـتعة، وغير ذلك مماله ضرر على صـحة الإنسان ، ويؤثر فى الكيان الاجتمـاعى، علاوة على أنه حرام يوجب غضب الرحمن .

إننا ندق جـرس الخطر لنوقظ النائـمين . وننبه الناسـين ونذكر الغافـلين . وقد وضعنا الحلول بـعد أن بينا المشكلة واقتـرحنا ما رأينا أن يحقق الغايـة التى ننشدها . لكن الكمال لله وحده . فالمجال عام وكل يدلى بدلوه لنصل إلى أفضل النتائج ونحقق الهدف الذى نبتغيه .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا للخير ويلهمنا الرشاد ﴿ **رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾** ﴾ [**الكهف**] .

منصور الرفاعى عبيد

الفهرس

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع	٩٩/١٧٦٩٥
I. S. B. N الترقيم الدولى	977-10-1304-1